الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة.
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم التاريخ

الآفات الإجتماعية في الأندلس وتأثيرها على المنظومة القيمية عصر ملوك الطوائف (422 ـ 479هـ / 1030 ـ 1086م) أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستير في تخصص التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:
نسرين برباش

إشراف الدكتور:
خلفات مفتاح

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة
أ. حصباية محمد	أستاذ مساعد ب	رئيسا
د. خلفات مفتاح	أستاذ محاضر أ	مشرفا
أ. محمودي محمد الصديق	أستاذ مساعد أ	مناقشا

السنة الجامعية: 1436 ـ 1437هـ / 2015 ـ 2016م.

مقدمة

مقدمة:

إنّ الدولة الأموية في الأندلس لم تتمكن من الاِحتفاظ بتفوقها السياسي والعسكري، وظهر الضعف فيها جليًا منذ أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي فأتاح ضعف خلفاء بني أميّة الأواخر لحكام الأقاليم والولايات الأندلسية الفرصة للاِنفصال بما تحت أيديهم من مناطق، بعدما دخلت الأندلس في حالة من الفوضى والاِقتتال الداخلي على السلطة في حربٍ أهلية مدمرة، والتي اِصطلحت عليها المصادر التاريخية الأندلسية اِسم الفتنة البربرية، فأدت في نهاية المطاف إلى اِنقسام الأندلس إلى عدة ممالك وإمارات مستقلة عرفت باِسم دول الطوائف (422هـ479هـ/1030م-1086م)، فمنذ أن قامت هذه الدول قامت معهم النزاعات والخلافات الداخلية، فشهدت مناحي الحياة المختلفة في ظل المؤثرات السياسية تردِيًا اِجتماعيًا، وأزمات عديدة عرفت المنطقة على إثرها سلسلة من التحولات الكبرى والاِنعطافات الحاسمة في مسارها التاريخي، فكانت الآفات الاِجتماعية من أشد البلايا وقعًا على المجتمع الأندلسي، ومن هنا تبرز أهمية الموضوع،فنظرًا للجانب الأخلاقي وتأكيدًا له أدت دراسته في هذا العصر، لأنّها لا تزال مثل هذه الظواهر الاِجتماعية بحاجة إلى الدراسة، لأنّ جلّ الدراسات حول الأندلس في القرن5هـ/11م تحفل بالتاريخ السياسي وأحداثه، وتغاضت عن الكثير من الجوانب الأخرى، واِنطلاقا من هذا الهاجس جاء اِختياري لهذا الموضوع محاوِلةً سد بعض الثغرات في الدراسات الاِجتماعية في الأندلس عصر ملوك الطوائف، ولبيان دور الجانب الأخلاقي في توجيه الحياة العامة والخاصة، وفي تربية النشئ، والهدف الأهم الذي دفعني لدراسة هذا العصر الذي تهون فيه الصعاب، هو التأكيد على القيمة الأخلاقية التي بثها الإسلام في الحياة.

والدافع الأساسي من دراسة موضوع الآفات الإجتماعية عصر ملوك الطوائف من تاريخ الأندلس هو محاولة الإجابة عن إشكالية رئيسية نحددها من خلال التساؤلات التالية:

1-ما تأثير الآفات الإجتماعية في الأندلس عصر ملوك الطوائف على المنظومة القيمية؟

2-كيف كان تأثير التقسيم السياسي للأندلس على المستوى الإقتصادي والإجتماعي؟

3-ما موقع الثقافة في هذا العصر المضطرب؟ وهل تأثرت بذلك؟

4-فيما تجلت تأثيرات الأوضاع السياسية على الإنحلال الخلقي لكل من الحكام والمحكومين؟ وما هي أهم مظاهر الإنحلال الخلقي التي سادت هذا العصر؟ وكيف كانت إنعكاساتها على المنظومة القيمية؟

وقد تنوعت الإستفادة من الدراسات السابقة لهذا الموضوع فيمكن إجمالها فيما يلي:

بالنسبة للحياة الإجتماعية: دراسة أمحمد بن عبود تحت عنوان(التاريخ السياسي والإجتماعي لإشبيلية في عصر الطوائف)، تمثلت في دراسة مملكة من ممالك الطوائف، ودراسة مريم قاسم طويل حول غرناطة والمرية في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، وكذلك صلاح خالص حول التاريخ السياسي لإشبيلية في عهد بني عباد، وهناك دراسة قام بها الباحث بلعراسي لخميسي، وهي عبارة عن رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي تحت عنوان:الحياة الإجتماعية والثقافية عصر ملوك الطوائف في الأندلس.

وقد إتخذت هذه الدراسة منهجًا تكامليًا في تناولها لمفردات البحث: فإعتمدت على المنهج التاريخي في رصد ملامح الحياة السياسية، الإقتصادية، الإجتماعية والثقافية وهو ما تمّ في الفصل الأول، والمنهج الوصفي في وصف القيمة الأخلاقية ومظاهر

الإنحلال الخلقي والآفات لكل من الحكام والمحكومين، مع توظيف المنهج المقارن في حالات تستوجب ذلك، ومنهج التحليل بهدف تحليل الظواهر للوصول إلى أحكام معللة ومنطقية.

وحسب ما توفر لدينا من مادة علمية تمّ تقسيم البحث إلى فصلين ومقدمة وخاتمة تضمن الفصل الأول أوضاع الأندلس عصر ملوك الطوائف اِندرج تحته أربعة مباحث، تناولنا في المبحث الأول الأوضاع السياسية، وتعرضنا في كل من المبحثين الثاني والثالث للأوضاع الاِقتصادية والاِجتماعية وتأثير المؤثرات السياسية عليهما فحين جاء المبحث الرابع تحت عنوان الأوضاع الثقافية ومدى تطورها واِزدهارها في عصر سياسي مضطرب.أما الفصل الثاني والأخير عنوناه بمظاهر الآفات الاِجتماعية على مستوى طبقات المجتمع، حيث عالجنا كل طبقة على حدى بِدءًا في المبحث الأول بالطبقة الحاكمة تعرضنا فيه لأهم أسباب الاِنحلال الخلقي من ترفٍ ومجون، وتفسخ أخلاقي، وتضمن النخب الفكرية وعلاقتها بالسلطة ومدى التنافر والتجاذب بينهما،وفي المبحث الثاني تناولنا الاِنحلال الخلقي لفئة العوام تطرقنا من خلاله لأسباب اِنتشار مظاهر الآفات وذلك من خلال ما تعرضوا له من أزمات واِضطهادات، فحين جاء المبحث الثالث بعنوان المرأة الأندلسية عصر ملوك الطوائف ركزنا فيه على فئات معينة من النسوة برزت فيهن عادات لا أخلاقية وختمنا هذا الفصل بالاِنعكاسات التي ترتبت على الاِنحلال الخلقي لكل من التركيبات الاِجتماعية المشكلة للمجتمع الأندلسي وطبقاته على المنظومة القيمية.

وقد واجهتنا أثناء اِنجاز هذا البحث صعوبات تمثلت في كثرة الدويلات التي فاق عددها اثنتي وعشرين دويلة، التي تراوحت بين القوة والضعف مما صعب علينا الإلمام بالاِختلافات الاِجتماعية فيها، والبحث في موضوع الحياة الاِجتماعية في الأندلس في عصر ملوك الطوائف ليس بالسهل لأنّها تمزج بين جوانب متعددة

إذ لا يمكن للباحث والدارس لها الفصل بين الجانب السياسي والجوانب الأخرى اِجتماعية كانت أو اِقتصادية لأنّه هناك ترابط بينهم وهذا ما يتطلب وقت كبير للقراءة وجمع المعلومات، كما تكمن صعوبة البحث في شح المادة التاريخية إذ أنّ المؤرخين ضربوا صفحًا عن الموضوع إلا عبر إشارات متفرقة بين الكتب، وأمام هذا النقص دعت الحاجة إلى العودة إلى كتب الحسبة والنوازل الفقهية وهذه الأخيرة تتطلب معارف مسبقة حتى يتسنى فهمها.وبالرغم من ذلك فإني حاولت تجاوز تلك العقبات والخروج بالبحث إلى بِر الأمان.

عرض وتحليل لأهم المصادر والمراجع

اعتمدت في إنجاز بحثي هذا على مجموعة من المصادر التاريخية العربية التي اِختلفت درجة استعمالها،كما اِستأنست بالعديد من المراجع المهمة التي لها صلة بالموضوع، وسأقتصر هنا على أكثرها أهمية وفائدة لهذا البحث.

1-المصادر

أ-كتب التاريخ :

1-ابن بسام الشنتريني 542هـ/1148م اِعتمدت على كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، وهو موسوعة تاريخية أدبية تتضمن تراث القرن5هـ/ 11م احتفظ لنا ابن بسام بالكثير من المعارف والمعلومات حول ملوك الطوائف، ينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام في ثمانية مجلدات نشره إحسان عباس، وقد اِستفدنا منه من الناحية الأدبية، وكذا الأحداث التاريخية إبان القرن5هـ/11م.

2-ابن عذارى المراكشي، كان حيًا خلال712هـ/1312م، كتابه المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، يزخر الكتاب بمعلومات قيمة لأنّها مستقاة من مصادر معايشة للحدث إذ أنّه مقتبس من مصنفات لم تصلنا مثل ابن حيان وغيرها،ويتألف

البيان المغرب من خمسة أجزاء، اِعتمدنا على الجزء الثالث منها والمخصص لملوك الطوائف فهو يشير للوضع الاجتماعي والسياسي للأندلس في عهد ملوك الطوائف.

3-ابن الخطيب لسان الدين 776هـ/1376م أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، وهو موسوعة في التاريخ العام للعالم الإسلامي ينقسم إلى ثلاثة أقسام، فحين اِعتمدنا على القسم الثاني منه الذي تضمن تاريخ الأندلس من الفتح إلى عصر المؤلف أي القرن8هـ/14م، وهو محقق من طرف ليفي بروفنسال، اِحتوى على الكثير من المعلومات الخاصة بملوك الطوائف.

4-المقري شهاب الدين1041هـ/1632م كتابه نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، يعد مصنفه من الموسوعات التاريخية العظيمة، إذ اِحتوى على الكثير من المعلومات عن تاريخ الأندلس، يتكون الكتاب من ثمانية أجزاء، اِعتمدنا على نسخة إحسان عباس، أفادنا الكتاب في اِستقاء بعض المعلومات التاريخية الخاصة بالحياة الاِجتماعية والثقافية في الأندلس.

ب-كتب التراجم:

1-ابن بشكوال خلف بن عبد الملك 578هـ/1183م، في كتابه الصلة الذي كان فيه ابن بشكوال معاصرًا لملوك الطوائف وخاصةً علماء هذه الفترة، وقد اِستفدنا منه في ترجمة الشخصيات.

2-ابن سعيد المغربي 685هـ/1286م،كتابه المُغرب في حُلى المغرب يتضمن جزأين، تحقيق ضيف شوقي اِستفدنا منه في بعض الإشارات الاِجتماعية.

ج-كتب الجغرافيا:

1-الحميري محمد بن عبد المنعم أواخر القرن9هـ/15م، له كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار،موسوعة جغرافية اِستخرج منه ليفي بروفنسال الجزء

الخاص بالأندلس وعنونه : بصفة جزيرة الأندلس وأقاليمها.أفادنا فيما يتعلق بتحديد المواقع الجغرافية.

2-الإدريسي الشريف محمد بن عبد الله 560هـ/1166م، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مستخرجة من كتاب نزهة المشتاق في اِختراق الآفاق وفيه وصف للمدن الأندلسية.

د-كتب النوازل والفقه:

1-ابن سهل أبا الأصبغ عيسى 486هـ/1093م له كتاب ضخم يسمى بالأحكام الكبرى،ولكن مخطوط اِعتمدنا على بعض أحكام هذا الكتاب التي نُشرت وحققت من طرف محمد عبد الوهاب خلاف، اِعتمدنا على ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع، تضمن مسألة ابن حاتم الطليطلي المحكوم عليه بالزندقة، أفادني في بعض القضايا الفقهية والمشاغل الاِجتماعية التي طبعت المجتمع الأندلسي.

2-أبوبكر الطرطوشي 520هـ/1126م له كتاب الحوادث والبدع، أفادني في بعض الإشارات الاِجتماعية تناول البدع ونقدها في المجتمع الأندلسي وبعض السلوكات التي كانت تمارس في المجتمع.

هـ-كتب الحسبة:

اِعتمدنا على رسالة في القضاء والحسبة لِابن عبدون الأشبيلي الذي عاش في القرن 6هـ، وقد بيّن لنا هذا الكتاب ما كان عليه المجتمع الأندلسي في المعاملات في البيوع والصناعات، والمهن والحرف التي كانوا يمارسونها.

و-الكتب الأدبية:

1-ابن حزم، كتابه طوق الحمامة أفادنا كثيرًا في بعض الملامح الاِجتماعية كالمرأة والمهن،فهو شاهد على العصر.

-المراجع

1-صلاح خالص،كتاب اِشبيلية في القرن5ه/11م وهو عبارة عن دراسة لِإشبيلية في عهد بني عباد، أفادنا في بعض الإشارات الِإجتماعية عن اِشبيلية والتقسيم الطبقي للمجتمع.

2- مريم قاسم طويل، كتاب غرناطة في عهد بني زيري البربر، دراسة شملت الجانب السياسي والِإجتماعي والِإقتصادي والعمراني، مكنتنا هذه الدراسة من الِإطلاع على الواقع الِإجتماعي لغرناطة.

3- أمحمد بن عبود، التاريخ السياسي والِإجتماعي لِإشبيلية في عهد دول الطوائف وقد أفادنا في الدراسة الِإجتماعية كثيرًا.

4- محمد بن عبد الله، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي هذا الكتاب جزء من كتاب ضخم يتناول دولة الإسلام في الأندلس، خصص العصر الثاني لدول الطوائف، اِستفدنا منه في التوزيع الجغرافي لممالك الطوائف.

كثيرون هم العاملون وقليل منهم المحسنون، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان
وما إحساني إلا أن أتقدم إلى فضيلة أستاذي المشرف الدكتور **خلفات مفتاح** بجزيل الشكر وعظيم الِإمتنان والعرفان، فقد أحسن بي إذ أخرجني من مستنقع الخوف والتقليد إلى معارج البحث والتجديد، فبذل الجهد والوقت في إرشادي وإعانتي على اِكتمال صورة هذا البحث، فكان نِعم المشرف والمرشد، أدعو سائلة الله أن يحفظه ويرعاه ويقُرّ عينه في نفسه وأهله، وأسأل الله له ولأهله دوام الصحة والعافية.
كما لا يفوتني أن أشكر كل من ساعدنا على إتمام البحث من قريب أو بعيد، بين داعمٍ بمصادر أو بمراجع أو مشجع برأي.

الفصل الأول : أوضاع الأندلس عصر ملوك الطوائف

المبحث الأول: الأوضاع السياسية

يستشف من مضمون ما وفرته المصادر الأندلسية أنّ تمزق وحدة الأندلس في أوائل القرن الخامس الهجري،الحادي عشر ميلادي – في ظروف حالكة وأوضاع مترديةعلى أثر سقوط السلطة المركزية فيها– وقيام دويلات الطوائف إن ذلك كله أدى إلى إيصال الأحوال السياسية في الأندلس إلى حالة مترديةً.

فمع سقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م[1]، فقدت الأندلس وحدتها السياسية وانقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة مستقلة[2]، وقامت بإعلان الاستقلال في مدينة من المدن وما يحيط بها[3]، فقد قام بها الوزير أبو الحزم جهور[4] بن محمد بن جهور فهو المسؤول عن ذلك[5]، عندما ألغى الخلافة فتسلم عملياً زمام السلطة العليا[6]

---

[1]– ابن عذارى أبو عبد الله المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س كولان ، ليفي بروفنسال ، ج3، ط1، دار الثقافة، بيروت،1983م، ص 185.

[2]– خليل إبراهيم السامرائي وآخران، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتب الوطنية ليبيا،2000م، ص 224.

[3]– طارق سويدان، الأندلس التاريخ المصور، ط1، شركة الإبداع الفكري، الكويت،2005م، ص 248.

[4]– الوزير أبو الحزم جهور(364هـ/ 964م) هو جهور بن محمد عبيد الله بن محمد بن يحي بن عبد الغافر بن أبي عبيدة، كان من وزراء الدولة العامرية قديم الرياسة، موصوفاً بالدهاء والعقل،صار له تدبير أهل قرطبة وهو أحد أعيان الجماعة، أوكلت له الرياسة بعد شغور منصب الخلافة لتسيير الفترة الإنتقالية، ومكث فيها حتى توفي سنة(435هـ/1037م)...للمزيد أنظر(ابن بشكوال،كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، ط1،المكتبة المصرية ، بيروت، 2003م، ص ص121–122، ابن عذارى، المصدر السابق،ج3،ص185، دوزي، ملوك الطوائف تر: كامل الكيلاني، ط1، مطبعة عيسى وشركاؤه، مصر،1933م، ص13).

[5]–حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس– تاريخ وفكر وتراث–ج2، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، [د.ن] [د.ت] ص30.

[6]–مونتغري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، تر: محمد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات الإسكندرية 1988م ، ص102.

فاِتجهت همة الطماعين منهم إلى الاِستيلاء على السلطان في نواحيهم وأعلنوا أنفسهم رؤساء فيها واِضطر الناس إلى الطاعة لهم[1].

فيذكر ابن الخطيب في ذكر ملوك الطوائف بعد اِنقراض الخلائف :

قام بكل بقعة مليك وصاح فوق كل غصن ديك

وكثر العادي بها والخائف واِقتسمت أقطارها الطوائف[2]

واِنتحلوا الألقاب على اِختلاف أجناسهم وأشكالهم، ذاهبين من الاِنشقاق والاِفتراق ما لم يذهب إليه كثيرٍ من الأمصار، وأصدق تعبير قول الشاعر ابن رشيق[3]:

(البحر البسيط)

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء معتضد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي اِنتفاخاً صولة الأسد[4]

إذ لم يعد ذلك الجيش الواحد الذي يحافظ على مصالحها و يدافع عنها فتعددت الجيوش وكثر القادة، بعد أن كان للأندلس قائداً واحداً وإدارة واحدة[5]وهذا ما أضعف قوة المسلمين[6]، إذ اِنقسمت رقعة الوطن الأندلسي الكبرى من الناحية الإقليمية

---

[1]–حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 30.

[2]–ابن الخطيب لسان الدين السليماني، رقم الحلل في نظم الدول، [د.ط]، المطبعة العمومية، تونس، [د.ت] ص45.

[3]–ابن رشيق : هو أبو الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني، أحد الأفاضل البلغاء، وقد ذكر ابن بسام أنّه ولد بالمسيلة ثم اِرتحل إلى القيروان، وقال غيره أنّه ولد بالمهدية في سنة 340هـ وأبوه مملوك رومي من موالي الأزد توفي سنة 463هـ...للمزيد أنظر(ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح:إحسان عباس، م2، دار الغرب الإسلامي بيروت،1971م، ص75).

[4]–ابن الخطيب لسان الدين السليماني، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاِحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، ط1، مكتبة الثقافة الإسلامية،القاهرة،2004م، ص 242.

[5]–هاشم عبد الرؤوف، رسالة ووصية من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر، [د.ط]، دار البشير، عمان [د.ت]، ص23.

[6]– صالح الأشتر، معركة الأرك591هـ–1195م، [د.ط]، دار الشرق العربي، بيروت، [د.ت]، ص06.

إلى عدة مناطق، حيث تسلم الحكم في قرطبة بنو جهور[1](422هـ/1031م) حوالي أربعين سنة، وبنو زيري[2](403-410هـ)،(1013-1019م) وهم طائفة من البربر بغرناطة[3] ثمانين سنة، أما مالقة[4] وما حولها اِستبد بها بنو حمود أربعين سنة، وقام في طليطلة (427-435هـ)،(10361043م) بنو ذي النون[5] البربر نصف قرن وفي سرقسطة (404-414هـ)،(1017-1023م) و لأكثر من قرن بنو هود[6] فحين تراجعت قرطبة عن المركز الأول بين مدن الأندلس وبرزت اِشبيلية[7] (1023/414م) واِحتلت المركز بحكامها من بني عباد اللخميين، وهذا ما جعل لكل فئة تطلعاتها السياسية التي تخمدها القوة المركزية ولكنها لا تلغيها وتتركها قابلة للثورة عند كل ضعف[8] ، فأصبحت كل دولة تتفق على جيش تعده لمواجهة الخطر

---

[1]-بنو جهور في قرطبة: مؤسس هذه الدولة هو أبو الحزم جهور سنة 422هـ/1031م، كانت حكومته تبسط سلطانها على وابدة، بيّاسة...، عرفت حكومة ابن جهور"بحكومة الجماعة" سقطت المدينة بأيدي بني عباد سنة462هـ/1070م...للمزيد أنظر(عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس-العصر الثاني-ط4، مكتبة الخانجي،مصر،1997م،ص ص20-30).

[2]- بنو زيري في غرناطة: مؤسس هذه الدولة زاوي بني زيري، اِستولى عليها المرابطون سنة 483هـ/1090م في عهد عبد الله بن بلقين...للمزيد أنظر(عبد الله عنان،المرجع السابق،ع2،ص118).

[3]-ذنون عبد الحكيم، آفاق غرناطة، ط1، دار المعرفة، دمشق،1977م، ص27.

[4]- مالقة: اِسمها القديم ريّه، و هي مدينة على شاطئ البحر،كثيرة اللوز والتين، حسنة عامرة،ويحمل تينا إلى مصر والشام والهند لشهرته...للمزيد أنظر(الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار، نشر وتصحيح: ليفي بروفنسال،ط2،دار الجيل،بيروت،1988م،ص ص177-179،الإدريسي عبد الله، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبسة من كتاب نزهة المشتاق، تح: ديوان المطبوعات الجامعية،[د.ط]، الجزائر، 1983م، ص293).

[5]- بنو ذي النون في طليطلة: مؤسسها هو إسماعيل بن ذي النون الظافر، قد سقطت الدولة على يد ألفونسو السادس سنة 478هـ/1075م في عهد يحي بن إسماعيل بن يحي القادر...للمزيد أنظر(عنان عبد الله،المرجع السابق، ع2، ص 254).

[6]- بنو هود في سرقسطة: مؤسسها المنذر بن يحي التجيبي، اِحتلها المرابطون سنة503هـ/1110م في عهد عبد الملك بن أحمد بن حماد...للمزيد انظر(عنان عبد الله، المرجع السابق،ع2، ص254).

[7]-بنو عباد اِشبيلية: مؤسسها أبو القاسم بن عباد، سقطت على يدي يوسف بن تاشفين سنة474هـ/1091م...للمزيد أنظر(عنان عبد الله،المرجع السابق،ع2،ص79).

[8]-شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، [د.ط]، منشورات دار الثقافة، دمشق،1990م، ص83.

من الدولة المجاورة[1] ، حيث أنّ هذه الدول الصغيرة التي قامت على أنقاض الأندلس الكبرى والتي كانت تتسم بسمة الملك وتزعم لنفسها الإِستقلال بشؤونها كانت تنقصها من الناحية النظامية عناصر الدولة المستقرة[2] ، إذ اِعتبر المؤرخون القرن الخامس الهجري من تاريخ الأندلس قرنًا مظلمًا أسود[3]، أو عصر الفرق[4] كما يسميه ابن الكرديوس.

وبقيام هذه الدويلات اِتسم هذا العصر بالفوضى والإِضطراب والضعف السياسي المتمثل بالخصومات التي كانت تقوم بين ملوكه طمعًا في أملاك الغير، مما كوّن دويلات هزيلة وضعيفة بعيدة عن دعائم الوحدة.

المبحث الثاني: الأوضاع الإِقتصادية

لم يكن القرن 5هـ/11م في نظر المؤرخين – فيما عدا الأوضاع السياسية– يقل عن القرن الذي سبق تألقا وحضارة وغنى، ولعله كان في الغنى التجاري أخصب منه، حيث ظلّ اِقتصاد الإمارات الأندلسية منتعشاً رغم التجزئة السياسية.

لقد توزعت القوة الإِقتصادية بين المتنفذين في المدن والمرافئ والمقاطعات، وكانت بسبب اِستمرار حركة الإنتاج والتجارة على نشاطها، كافية لإقامة أكثر من عشرين بلاطاً بدل البلاط الواحد، ولتمويل أكثر من عشرين أميراً بما يحبون من نفقات الإِعمار وتشكيل الجيوش وإجازة العلماء، وتسديد كافة نفقات الملك[5]، فكانت لكل فئة فئة نوعية من الإِقتصاد المعيشي مختلفة عن الأخرى[6]، إذ عرفت التجارة رواجاً

---

[1]–ألبير حبيب مطلق،الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، رسالة قدمت لنيل درجة أستاذ في الآداب، دائرة اللغة العربية،الجامعة الأميركية، بيروت،1965م، ص192.

[2]–عنان عبد الله،المرجع السابق،ع2، ص418.

[3]–شاكر مصطفى،المرجع السابق، ص75.

[4]–ابن الكرديوس أبو مروان عبد الله التوزري، تاريخ الأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، [د.ط]، معهد الدراسات الدراسات الإسلامية، مادريد،1971م، ص78.

[5]–شاكر مصطفى،المرجع السابق، ص76.

[6]–نفسه، ص81.

وازدهاراً كبيرين، نظراً لكثرة الأسواق والأحياء التجارية المقسمة حسب الحرف والصناعات وكانت الحرف هي التي يكثر عليها الطلب من الحكام وكبار الموظفين ومن يدور في فلكهم[1]، هذا علاوة على ثراء الحكام وأعوانهم والمتمثل في ما اِحتوت عليه دُورهم وقُصورهم من تزيين ونقش ومصابيح وتُحفٍ وثريات[2]، إذ أدى هذا الجانب المترف القائم على الإبداع في شؤون القصور واِتخاذ الأبهة واِنتحال ضروب التفخيم يرتفع من حولهم – في العادة – فئتان، فئة الكبار من رجال الدولة لاِتخاذ المنفعة والاِشتراك في طرق الكسب والجمع، وفئة تُجار الكماليات الذين تنفق سلعهم بما يقدمونه من فاخر الأثاث والملبوسات المزخرفة، والعطور والجواري[3] فالملاحظ هنا أنّ الاِقتصاد كان تابع للجاه والسلطة، فالتجارة كانت تجارة السلطان وحاشيته لأنّ الأموال كانت ممركزة في يد السلطان.أي بيت المال.

كانت دور الأغنياء تزدان بعجائب غالي الأثاث، حدّث أحدهم أنّه دخل إحدى تلك الدور ببلنسية فرأى من أثاثها ما لم يره في قصور الأمويين أيام عزهم[4] بالإضافة إلى مزارعهم وحدائقهم كانت مضرب الأمثال في الجودة والتنسيق والنماء، لاسيما في طليطلة حيث كانت حدائق بني ذي النون في الأولى وحدائق بني عباد في الثانية[5] وكانت القصور التي بناها بنو ذي النون مضرب المثل في روعتها[6]. ولعل السبب العميق لظهور هذه البلاطات والطوائف المتعددة هو بالضبط هذه الوفرة في الموارد فقد سمح لكل طامع بأن يحقق مطمعه.

---

[1]–يفوت سالم، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، ط1، المركز الثقافي العربي،المغرب،1986م ص30.

[2]–المقري أبو العباس أحمد بن محمد، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس،ج3،[د.ط] دار صادر، بيروت،1988م، ص88.

[3]–إحسان عباس، تاريخ الأدب عصر الطوائف والمرابطين،[د.ط]، دار الشروق، عمان،1997م، ص35.

[4]–نفسه، ص37.

[5]–عنان عبد الله، المرجع السابق، ص442.

[6]–إحسان عباس، المرجع السابق ، ص36.

وعلى النقيض ما رأيناه في البيوتات الكبرى والغنية، فإنّ الطبقة العامة كانت تعاني كساد الحالة الإقتصادية، وذلك بسبب إضطراب وضعهم الإقتصادي، وإشتّد الغلاء وإنتشرت الأوبئة، لأنّه لجأ بعض ملوك الطوائف إلى إثقال كاهل رعاياهم بالضرائب لإرضاء نزواتهم وتحقيق لذاتهم[1]، فلجأ العامة إلى مهاجمة القصور ونهب الأموال والتحف الموجودة بقصور الأغنياء[2]، كما عانت هذه الطبقة من الأزمات والمجاعات، فعرفت إشبيلية عام447هـ مجاعة إجتاحت النّاس عُرفت "بسنة الجوع الأكبر" وقد قال من شهد تلك بإشبيلية "كان الناس يدفنون الثلاثة والأربعة في قبر واحد،والمساجد مربوطة بالخزم،لا يوجد من يؤمُ بها ولا من يصلي فيها"[3].

ولم يمر القرن 5هـ/11م دون أزمات إقتصادية تختلف في حدتها بين الضيق والمجاعة، وإذا لم تكن الطبقات العليا في المجتمع تتأثر منها بوضوح فإنّ الطبقة الدنيا وبخاصة في المدن الكبيرة كانت تدفع غالياً ثمنها سواءٌ من إجهادها أو من أمراضها وموتاها، ولعلّ أقساها تلك الأزمة التي إستمرت سنتي 340هـ/1052م ووصلت شدتها في بعض المناطق درجة أكل الميتة من الدواب وأكل الكلاب كما أقفرت أقساماً من الريف.[4]

إن دول الطوائف تقدم لنا ذلك المزيج المدهش من الضعف والقوة، ضعف البناء السياسي، وقوة التراث المادي والحضاري.

المبحث الثالث: الأوضاع الإجتماعية

من الثابت أنّ الأوضاع الإجتماعية تتأثر تأثيرًا بالغاً بحالة الأمن والإستقرار في المجتمع، فالأندلس خلال فترة حكم الطوائف تعرض لحالة من الإضطراب

[1]–ابن عذارى، المرجع السابق، ج3، ص162.

[2]–سالم يفوت، المرجع السابق، ص31.

[3]–المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: محمد بن شريفة وإحسان عباس، ق5، م1، [د.ط]، دار الثقافة، بيروت،1964م، ص33.

[4]–شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص81.

وإختلال الأمن وإنعدام الطمأنينة، وقد إشتاقت الإستقرار فإنتهزها علية القوم والقادة فرصة للإستيلاء على السلطة،وهكذا بدأ كل متزعمٍ يوطِّد لنفسه[1]، إذ صنف المجتمع الأندلسي في القرن 5هـ/11م إلى طبقات وكان هذا التصنيف يخضع لعدة معايير برزت في هذا العصر، كان من أبرزها حيازة الأراضي والإقطاعات من ذوي النفوذ السياسي، بالإضافة إلى الجاه والمال فهو وسيلة هامة في بلوغ السلطة دون أن ننسى المستوى الإجتماعي المتمثل في الوظيفة أو الدخل والتي من خلالهما يمكن تصنيف الأفراد ضمن هذه الطبقة أو تلك أي حسب أهمية الوظيفة[2] حيث كانت كل فئة حاكمة على رأس كل دولة من دول الطوائف تؤلِفُ أرستقراطية يرجع أصلها العرقي إلى البربر كممالك الزيريين في غرناطة، والعرب كما في إشبيلية وسرقسطة، والصقالبة كما في دانية والمرية، حيث كان بعض الرؤساء من العبيد الذين نجحوا في الإستيلاء على الحكم[3].

أ-الطبقة الخاصة :

وهي تشمل أفراد الأسرة الحاكمة وأصحاب الوظائف الكبرى وكبار الأغنياء الذين يمتلكون الثروات الطائلة والتي تمثلت في المنيات والضيعات، وبه إستطاعت بسط نفوذها السياسي والإقتصادي في الأندلس[4]، ففي غرناطة كانت أسرة بني زيري في قمة الهرم من حيث الثراء، فعملوا على تقوية تلك الطبقة للمحافظة على السلطة[5]

[1]-شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص79.

[2]-بوشيش القادري إبراهيم، مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، [د.ط] دار الطليعة،2000 م، ص43.

[3]-الجيوسي سلمى الخضراء، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 1991 م، ص978.

[4]-صلاح خالص، إشبيلية في القرن الخامس الهجري-دراسة أدبية تاريخية-[د.ط]، دار الثقافة، بيروت 1956م ص46.

[5]-طويل مريم قاسم، مملكة غرناطة في عهد بني زيري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ص261.

أما بلنسية كانت تملك الضياع الواسعة والأراضي الخصبة والثروات ويذكر ابن بسام أنّه ظهر ببلنسية طبقة خاصة ثرية تشكلت من الوزراء والصقالبة الذين نعموا بترفٍ اِجتماعي[1]، فحين اِشبيلية كانت تحتل المستوى المعيشي وأسلوب الحياة الرفيع[2] ولابد من ذكر طبقة العلماء والفقهاء، من بين الفئات الاِجتماعية المحظوظة فهم شيوخ الإسلام والعارفون بالفقه القانوني والديني فكانوا عنصراً فعالاً من عناصر الشعب[3].

ب–الطبقة العامة:

وهي طبقة غير محظوظة، ولكن رغم ذلك فإننا نجد نمو طبقة وسطى ناجحة وفعالة ومؤثرة[4]، فالطبقة الوسطى تضم كبار التجار وأصحاب الأعمال والمشاريع وموظفي الدولة التابعين والملاكين الصغار[5]، وكانوا يتمتعون بمستوى اِجتماعي متوسط باِختلاف الأشخاص و مهنهم[6]، اِرتبطت مصالح هذه الفئة بمصالح الفئة الحاكمة فهم يتقربون منها أكثر مما يتقربون من عامة الناس، ومن ثمة فاِنّ هناك مصالح مشتركة تربطهم بالأرستقراطية[7]، وأفراد هذه الطبقة لم تسمح لهم الظروف بالحصول على ثروات ضخمة، وبالتالي فإنهم عملوا على حماية ما يمتلكون ويسعون إلى توسيع ثرواتهم على حساب غيرهم من العامة، قصد الوصول إلى مستوى الطبقة

---

[1]–الشنتريني أبي الحسن علي بن بسام،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تح: إحسان عباس، ق1، مج1، [د.ط] الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس،[د.ت]، ص211.

[2]–أمحمد بن عبود، التاريخ السياسي والاِجتماعي لاِشبيلية في عهد دول الطوائف،[د.ط]، المعهد الجامعي للبحث العلمي، تطوان،1983م، ص187.

[3]–الجيوسي سلمى الخضراء، المرجع السابق، ص978.

[4]–أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص187.

[5]–مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص83.

[6]–السيد أبو مصطفى كمال، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي 95–495هـ/714–1102م دراسة في التاريخ السياسي والحضاري–[د.ط]، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، [د.ت]، ص240.

[7]–صلاح خالص، المرجع السابق، ص 50.

الأرستقراطية[1]، فحين أنّ الطبقة السفلى كانت أقل حظوظاً ولم تكن لها اِمتيازات وهي أكثر الطبقات فقرًا في المجتمع ويمثلون السواد الأعظم منه ويضاف إلى ذلك معاناتهم من الظلم والتعسف، خاصة الزُراع منهم، فكانوا يتحملون وِزر الأوضاع والاِضطرابات[2]، وقد بلغ فقر هذه الفئة المضطهدة كل مبلغٍ، ولعل الصورة التي يسوقها إلينا ابن عذارى تعبر عن ذلك، إذ يقول " حتى لغدا كثير منهم يلبسون الجلود والحصر ويأكلون البقل والحشيش"[3]، يضاف إلى ذلك ظاهرة النزوح، وكان أسبابها البحث عن حياة أفضل والهروب من الجوع، بعدما فقدوا أرزاقهم بسبب الفتن[4]، إذن عانت هذه الفئة في ظل طغيان الطوائف كثيرًا من ضروب الاِضطهاد[5].

الاِضطهاد[5]. ج-العبيد:

وهي من بين الفئات المكونة لحركية المجتمع الأندلسي، فهي فئة اِجتماعية لها نشاطها وأدوارها[6]، كانوا في الأصل رقيقاً أو عبيدًا من سبي الشعوب السلافية الذين بيعوا إلى عرب الأندلس، يطلق عليهم الصقالبة، جاء أغلبهم أطفالاً من الجنسين إلى قرطبة حيث ربي الذكور منهم تربية عسكرية إسلامية واُستخدموا في أعمال القصر والحرس والجيش[7]، إذ نجد أنّه لم تخل دار ثريّ أثناء عصر ملوك ملوك الطوائف من العبيد وهذا لعامل الثراء والحاجة إلى العبيد[8]، ومن أعمال العبيد الخدمة المنزلية في البيوت الغنية، وكان دور الخادم في المنزل يرتبط بمستوى الهيئة

---

[1]-مريم قاسم طويل، مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح443-484هـ/1051-1091م، ط1، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء،1983م، ص84.

[2]-السيد كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص240.

[3]-ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص106.

[4]-نفسه، ص106.

[5]-عنان عبد الله، المرجع السابق، ص221.

[6]-صلاح خالص،المرجع السابق، ص70.

[7]-العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس،[د.ط]، دار النهضة العربية، بيروت،[د.ت]، ص256.

[8]-صلاح خالص، المرجع السابق، ص72.

الإجتماعية والسياسية، فالخصيان كانوا أصلاً يُملون لخدمة الحريم عند الأمراء والأرستقراطيين خدمة قريبة جداً من المخدوم[1]، وكانت من أعمالهم أيضاً تولي فتح باب المنزل فيستقبلون الزوار وينادون على صاحب المنزل، ويستقون لقضاء حاجات الأسرة[2].

تلك هي الحياة الإجتماعية التي كان المجتمع الأندلسي يحياها في عهد ملوك الطوائف، والتي إتسمت بالتفاوت الطبقي بين الفئات المشكلة لذلك المجتمع والتي ساهمت في تشكيل نسيج إجتماعي متدهور ومضطرب، تميّز ببروز طبقات ذات ثروات طائلة والوظائف الكبرى، وطبقات أخرى تعاني ألوان العسف والتنكيل والتي لا يأتي ذكرها إلا في التأريخ للكوارث كالمجاعات والأوبئة وهي في أغلب الأحيان فئات مهمشة.

المبحث الرابع: الأوضاع الثقافية

على الرغم من التمزق السياسي الخطير الذي كان يؤذن بأسوأ العواقب إلى أنّ الحياة الثقافية شهدت في ظل هذه الإنقسامات إنتعاشاً ضخماً، وإستطاعت الثقافة أن تخطو خطوات عملاقة وعُرفت هذه الفترة بفترة الإزدهار الثقافي والأدبي والعلمي[3] فهو إنتعاش عارض لم يستند إلى دوافع دينية أو قومية أو فكرية حقيقية[4] ولقد شمل التخصص مجالات معرفية متعددة كالأدب والتاريخ، الجغرافيا الرياضيات الطب الفلاحة، الحديث والفقه[5].

---

[1]–الجيوسي سلمى الخضراء،المرجع السابق،ص977.

[2]–بنمليح عبد الله، ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، [د.ط]، منشورات الزمن، الدار البيضاء، المغرب، [د.ت] ص32.

[3]–المقري، المصدر السابق، ج1، ص221.

[4]–عناني محمد زكرياء، تاريخ الأدب الأندلسي،[د.ط]، دار المعرفة الجامعية، بيروت،1999م، ص21 .

[5]–مؤلف مجهول، التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، [د.ط]، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية الرباط،1992م، ص38.

فتعددت المراكز الثقافية[1]، لأنّ الدويلات والإمارات التي اِستقلت في مختلف أنحاء الأندلس اِستجلبت العديد من العلماء، خصوصاً وأنّ أمراءها كانوا يرغبون في إضفاء مظاهر الملوك على أنفسهم وبلاطاتهم، لذا كان حرصهم على اِصطناع العلماء ضمن حاشيتهم[2]، كما نجد أنّه غلب على هذا العصر من سواه الصبغة الأدبية لحاجة كل أمير إلى بطانة من الشعراء تشيّدُ بمناقبه وتنتحل له مناقب أخرى ليست فيه[3]، وهناك عوامل محلية أثرت في توجيه الحركة اللغوية في هذا العصر وجهتها التي سارت فيها، بالإضافة إلى ما كان هنالك من عوامل تقليدية من رحلة إلى المشرق وهجرة للمشارقة والكتب المشرقية إلى الأندلس، وحلقات للتدريس والمناظرة وتشجيع على التأليف[4].

كما عرف هذا العصر شيوخ قدروا العلم وعاشوا له وحده اِعتبرهم الناس شيوخ هذا العصر الحافل بالاِضطرابات والفتن، واِعتصم بهم أهل الأندلس وتبركوا بهم وكان لوجودهم في نواحيهم أبعد الأثر في تثبيت القلوب والمحافظة على ما بقى من إطارات المجتمع الأندلسي في نواحيهم والمثل الأكبر لهؤلاء خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري أبو علي بن سكرة الصدفي(514هـ/1114م)، وأبو الوليد بن رشد الجد(520هـ/1126م)[5]، والملاحظ كذلك أنّ الشعر كانت سوقه نافقة ومجالسه " من أكبر مسارح الأفكار، وأفخم مظاهر الجمال، وأجمع أنواع الأدب واللهو والجد والهزل..."[6]، وأكثر أنواع الثقافة اِنتشاراً و رواجاً في الأندلس في القرن5هـ/11م وخاصة بإشبيلية " من هنا كان هذا الزمان عصراً عظيماً للشعر

---

[1]–ألبير حبيب مطلق، المرجع السابق، ص197.

[2]–عنان عبد الله، المرجع السابق، ص436.

[3]–ألبير حبيب مطلق، المرجع السابق، ص194.

[4]–نفسه، ص194.

[5]–حسين مؤنس، شيوخ العصر في الأندلس، ط2، دار الرشاد،ا لقاهرة،1997م، ص103.

[6]–ضيف أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، ط2، دار المعارف، تونس، [د.ت]، ص35.

والشعراء إذ تنافس ملوك الطوائف في اِجتذاب الشعراء في نواحيهم... ولكن عناية بني عباد أصحاب اِشبيلية به كانت أعظم وأشمل"[1]، ومن أبرز الشعراء الذين برزوا عصر ملوك الطوائف ابن زيدون(465هـ/1071م)،الوزير والشاعر وصاحبته الشاعرة ولادة(484هـ/1091م) ووجد قبلهما ابن دراج القسطلي(421هـ/1030م) في قرطبة، وراجت الأشعار والموشحات[2]، إذ كان الشعر عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليها وظائف والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم[3]، فهذا مجاهد الصقلي أمير دانية الذي اِستقطب جماعة من أهل قرطبة قال عنه صاحب الذخيرة "...وكانت دولته أكبر الدول خاصة وأسرها صحابة، ولاِنتحاله العلم والفهم فأمّه جملة العلماء،وأنسوا بمكانه، وخيموا في ظل سلطانه..."[4]، وفي المرية نجد أبا يحي بن معن صمادح التجيبي(484هـ)، الملقب بالمعتصم بالله الواثق بفضل الله الذي " كان رحب الفناء،جزيل العطاء، حليماً على الدماء والدهماء فطافت به الآمال واِتّسع فيه المقال وأعملت إلى حضرته الرحال"[5]وكان بنو عباد يرعون التقدم الحضاري في بلادهم ويهتمون به، فدعوا له خيرة المفكرين والعلماء وذاعت شهرتهم بالمشرق العربي كله، فجاءهم الباحثون عن العلم والدارسون له من كل مكان[6]، ومن أعظم علماء الأندلس الإسلامية وأخصبهم فكرًا هو دون شك علي ابن حزم(456هـ/1064م) وهو أحد القلائل الذين

---

[1]–اِميليو غرسيه غومس، الشعرالأندلسي، تر: حسين مؤنس، [د.ط]، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1956م ص45.

[2]–شاكر مصطفى، المرجع السابق ،ص90.

[3]المقري، المصدر السابق، ج1،ص222.

[4]–ابن بسام، المصدر السابق، ق1، مج1، ص22.

[5]–ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي، الحلةالسيراء، تح: حسين مؤنس، ج2، ط2، دار المعارف،1985م، ص128.

[6]–الشطشاط علي حسن، نهاية الوجود العربي في الأندلس، [د.ط]، دار قباء،القاهرة،2001م، ص20.

تفردوا بالإنتاج العقلي الخصب[1]، وكان عبد الملك بن رزين(496هـ/1104م) من شعراء الأندلس البارزين في عصر دويلات الطوائف، فقد كان له العديد من الأشعار في جميع الأغراض[2]، أما باقي ملوك الطوائف فقد كان لكل أمير منهم ميزة اِختص بها، فالمتوكل صاحب بطليوس اِمتاز بالعلم الغزير، و اِختص المقتدر بن هود صاحب سرقسطة بالعلوم[3].

وليست هذه على أيّة حال مجرد أسماء تمرُ في سجل التاريخ، ولكنّها قامات علمية اِمتازت بالعقلية الموسوعية، وراء كلٍ منها سيرة واسعة وتاريخ حافلٌ بالإنتاج والجهد والخصب.

[1]–شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص91.

[2]–السيد كمال أبو مصطفى، بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي،[د.ط]، مركز الإسكندرية الإسكندرية،1997م، ص24.

[3]–عنان عبد الله، المرجع السابق، ص436.

المبحث الأول: مجتمع االخاصة

1_ الحكام والملوك

لقد تركت الأوضاع التي سادت عصر ملوك الطوائف في القرن 5هـ/11م أثرها على الجانب الأخلاقي، وغياب الوازع الديني، وضعف القيم الأخلاقية، فكانت من مظاهرها الترف، المجون والخلاعة، تعاطي المسكرات، والإستغراق في الملذات الجسدية والإكثار من النساء والجواري، فيتجلى ذلك خاصة لدى الطبقة الخاصة. فمع بداية القرن 5هـ/11م وقع نوع من التنافس بين ملوك الطوائف بغية إظهار القوة والعظمة في المدن الأندلسية، وكانت كل منها تحاول أن تكون لها السيادة والرفعة في مظاهر الحياة المادية[1].

أ-الترف والبذخ

يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته (ت808هـ/1406م) "إنّه من طبيعة الملك الترف"[2]، فطبيعة الأندلس ساعدت على إنتشار الترف واللهو على نطاق واسع مما ساعد الملوك والأمراء إلى المتع واللذائذ وشرب الخمر وإقتناء القيان، وسماع العيدان وبناء القصور[3].إذ يمكن ملاحظة مظاهر الترف في بناء القصور ففي طليطلة "كانت المباني الذنوبية الجليلة، منها قبة النعيم التي صنعت للمأمون بن ذي النون تنسدل فيها خيمة من ماء، يشرب في جوفها مع من أحبّ من خواصه في أيام الصيف، فلا تصل إليه ذبابة، وهي في بستان الناعورة، وفيها القصر المكرّم الذي بناه وإحتفل فيه،وأطنبت البلغاء والشعراء في وصفه"[4]، وكان لآل عبّاد قصور

---

[1]-عويس عبد الحليم، التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، ط1، دار الصحوة، القاهرة،1994 م، ص19.

[2]-ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن أبو زيد،المقدمة، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1967م، ص131.

[3]-ابن الكرديوس، المصدر السابق، ص78.

[4]-ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي، المُغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ج2، ط4، دار المعارف، القاهرة،1955م، ص09.

شيدت بإشبيلية وهي المبارك و الثريا والزاهي، وكانت من الجمال والروعة ما يبهر العقول[1]، وقصر بن حبوس في غرناطة الذي لا مثيل له في بلاد الإسلام وبلاد الكفر[2]، أما في قرطبة فإننا نجد أنّ مظاهر الترف والنعيم زاهية حتى وصف أهلها أنّهم " أهل ذكاءٍ وجمالٍ ومرحٍ ترف"[3]، لقد تنافس الأمراء في التفنن في بناء القصور وإبتداع ألوان الزخارف فيها، حيث كانوا ينفقون في سبيل ذلك الأموال الطائلة وهذا دليل على الرفاه الإقتصادي.

ومن مظاهر الترف أيضاً الإهتمام بالمتنزهات والجنائن، وقد اشتهرت ألمرية بذلك فكان منها مُنى عبدوس، مُنى غسان،النّجاد، وبركة الصّفر، وعين النطية وبرجة ودالية[4]، ولعل من العوامل التي ساعدت على إظهار الأبهة هو تحمل الساكنة عبء ما كان يفرض عليها من الضرائب، وذلك ما كان يذهب إليه أمراء الطوائف في إرهاق شعوبهم بالمغارم[5]، والإكراه ومصادرة الأموال[6]، فقد كانوا ملوكًا طغاة قساة على رعيتهم، يسومونهم الخسف ويثقلون كواهلهم بالفروض والمغارم لملء خزانتهم وتحقيق ترفهم وبذخهم،ولم يكن يردعهم في ذلك رادع لا من دين ولا من أخلاق[7] ومثال ذلك أنّ مدينتي بلنسية وشاطبة الخاضعتين لمبارك ومظفر المملوكين العامريين كان لهما جنّة النعيم، حيث كان هذان العبدان عنيفين في تحصيل الأموال

[1]–ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص69.

[2]–المقري، المصدر السابق، ج1، ص192.

[3]–فكري أحمد، قرطبة في العصر الإسلامي– تاريخ وحضارة–[د.ط]، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1989 م، ص253.

[4]– ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص194.

[5]–عنان عبد الله، المرجع السابق، ع2، ص422.

[6]–السيد أبو مصطفى كمال، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، [د.ط]، مركز الإسكندرية للكتاب،الإسكندرية،1997 م، ص34.

[7]–عنان عبد الله، المرجع السابق، ع2، ص419.

من الناس بغير حق فبلغت جبايتهما[1]،هذا ما يدل على اِتجاه بعض ملوك الطوائف إلى الإستيلاء على أموال الناس بالباطل مستغلين جبروتهم وعدم وجود من يردعهم.

ب_التفسخ الأخلاقي

يلح ابن خلدون على ضرورة التمسك بالأخلاق في مسألة البناء الإجتماعي بإعتبارها تحقق الديمومة والإستمرارية للمجتمع، فإذا خرج المجتمع عن ضوابطه فهي بداية نحو الفساد والسقوط والفوضى الإجتماعية[2]، فقد اِتّجه أمراء الطوائف إلى درجة الإستهتار بأحكام الدين، و اِتسموا بضعف الإيمان والعقيدة حيث أنّهم لو وجدوا في اِعتناق النصرانية وسيلة لتحقيق أهوائهم ومصالحهم لما ترددوا في ذلك[3]، فكان الكثير منهم يجاهرون بالمعاصي واِرتكاب الأمور المحرمة[4] فمع مرور الوقت أصبح اقتناء الجواري والمغنيات، تهادي الغلمان، وعقد مجالس المنادمة والشراب[5]، وتنافس الملوك والأمراء في اِقتناء الجواري والقيان البارعات في الغناء والشعر والعلوم مما نشّط بدوره تجارة الرقيق، وجعل النخاسين يحرصون على تعليم الجواري الغناء والموسيقى والعلوم المختلفة، وذلك ليسهل بيعهن بسعر مرتفع[6]، حيث كان ملوك الطوائف إذا اِحتاجوا إلى شيء من الملهيات يرسلون رسلهم إلى قرطبة للبحث عن الأوصاف التي يريدونها من الجواري[7]، فقد مثلت الجواري أهمية كبرى لدى الطبقات العليا فاِنقسمت الجواري إلى نوعين حسب الخدمة، فيشمل النوع الأول الجواري اللائي أُستخدمن في القصور لقضاء الحاجات المنزلية، ويطلق عليهنّ اِسم

---

[1]–ابن عذارى،المصدر السابق، ج3، ص161.

[2]–ابن خلدون،المصدر السابق ، ص301.

[3]–عنان عبد الله،المرجع السابق، ص422.

[4]–نفسه، ص424.

[5]–الشطشاط علي حسن، المرجع السابق، ص20 .

[6]–ابن بسام، المصدر السابق، ق3، م1، ص18.

[7]–ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص212.

جواري الخدمة أما النوع الثاني فيطلق عليهن جواري اللّذة، وهنّ يُستخدمن لتسلية أسيادهن وجلب المتعة في نفوسهم بمختلف الوسائل ويختلف عددهن حسب ثروة الأسياد[1]، فأقبل الملوك على إقتناء هؤلاء الجواري، ودفع مبالغ طائلة من أجل ذلك. ففي سنة422هـ ورد على أبي الوليد بن جهور في قرطبة رسول المظفر بن الأفطس يلتمس شراء وصائف ملهيات يأنس بهنّ فوجد له صبيتين ملهيتين عند بعض التجار وإشتراهما له[2]،كما أنّ المعتمد بن عباد كان مولعاً بالنساء حيث خلع ثمانمائة إمرأة من أمهات الأولاد، وجواري المتعة، وإماء الخدمة[3] أما هذيل بن خلف بن رزين صاحب شنتمرية فقد كان من أرفع ملوك الطوائف همة في إقتناء القينات حيث إشترى جاريةً بثلاثة آلاف دينار[4]، وكان مجلس أنسه من أشهر مجالس ملوك الأندلس وأمرائها،إجتمع لديه مئة وخمسون جارية ومغنية وكنّ مضرب الأمثال في الجمال والمعرفة بفنون الطرب والغناء[5]. وقد ترك لنا الزجالي وصفاً للملوك قائلاً:

إذا غدا ملك باللهو مشتغلاً فأُحكم على ملكه بالويل والحرب

أما ترى الشمس في الميزان هابطة لما غدا وهو برج اللهو والطرب[6]

وهناك ظاهرة أخرى برزت لدى ملوك الطوائف تمثلت في ظاهرة المجون والخلاعة وكانت خاصة في قرطبة و تقتصر على أصحاب المُنى والقصور، إذ أنّ مجالس الطرب والشُرب والغناء فيها مشهورة فكانت الراقصات والمغنيات والموسيقيات يملأن تلك المجالس مرحاً وغزلاً[7]، ونام الملوك في المجون وما يرضي الأهواء من ألوان

---

[1]–صلاح خالص،المرجع السابق، ص98.

[2]–ابن عذارى،المصدر السابق،ج3، ص212.

[3]–ابن الآبار،المصدر السابق،ج2، ص43.

[4]–ابن عذارى،المصدر السابق،ج3، ص301.

[5]–حومد أسعد، محنة العرب في الأندلس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1977م، ص110.

[6]–الزجالي أبي يحي عبيد الله بن أحمد القرطبي، أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة ، ق2،[د.ط] منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأهلي، المغرب،1971م، ص85.

[7]–فكري أحمد، المرجع السابق، ص253.

الترف الفاجر فذهبت أخلاقهم، كما ماتت حميتهم وحمية آبائهم البواسل وغدا التهتك والخلاعة والإغراق في المجون واِهتمام النساء بمظاهر التبرج و الزينة، واِستناموا للشهوات والسهرات الماجنة والجواري الشاديات[1]، فأُشتهر عبد الملك بن رزين بأنّه كان ميالاً إلى اللهو والملذات وإقامة مجالس الأنس والشراب التي يحضرها تُدماؤه من رجال الدولة والشعراء والمغنون، فتذكر الرواية أنّه كان يعقد مجالس أنسه في روضاته المنتشرة في جميع أنحاء بلده شنتمرية، في منيته المسماة بمنية العيون التي اِتخذها مقرًا لراحته ونزهته ولهوه[2]، وعلى حد تعبير الزجالي:

إنني لأعجب من ملوكٍ أصبحوا وهم ميال أعبد الشهوات

الأطيبان مرادهم ومرادهم أرّب الفروج وأرّب اللهوات

لو وقفوا واقفوا اِجتماعهم على تقي الهوى فضلاً عن الخلوات[3]

كما وجد الغناء في هذا العصر، واِزدهرت مجالسه حتى شملت الخاصة فقد "كان لكل أميرٍ ووزيرٍ مجلس خاص به لا يكاد يمُر يوم دون أن يقوم فيه الغناء"[4].

وكانت مجالس الشُرب والخمر حاضرة لدى الملوك، فاِنتشر شرب الخمر في بلدان ملوك الطوائف حيث أصبح أمراً لا غرابة فيه في ذلك العصر، وكان وادي اِشبيلية لا يخلو من جميع أدوات الطرب وأنّ شرب الخمر فيه غير منكر[5]، وكان وصف الخمرة والتغني بها أمرًا مألوفًا عند كثير من شعراء ذلك العصر[6]، ومن ذلك قول الزجالي:

أرى لك أفعالاً تناقض بعضها على أنّها في العار والقبح واحد

---

[1]–عويس عبد الحليم،المرجع السابق،ص11.

[2]–السيد أبو مصطفى كمال، بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي،المرجع السابق، ص24.

[3]–الزجالي،المصدر السابق، س2، ص15.

[4]–ابن بسام،المصدر السابق، ق1، م2، ص863.

[5]–المقري،المصدر السابق، ج4، ص199.

[6]–ابن سعيد،المصدر السابق، ج1، ص396.

نبيذك ذا حلوٍ ووجهك حامض وماؤك ذا سخنٍ ونطفك بارد[1]

وفي ظل الغناء والموسيقى اِزدهر الرقص حيث الجواري والقيان والغلمان، وموزعو الخمور، اِنتشر التغزل بالغلمان، فهو لا يعد عيباً أو غير مرغوبٍ فيه في الوسط الأرستقراطي في الأندلس القرن5هـ/11م، إذ نجد أنّ الإنسان في إتباع هذه الظاهرة يضطر إلى التضحية بكرامته، وينساق إلى اِرتكاب القبائح غير آبِهِ بالذلِ على حد تعبير اِبن حزم[2]، فتبقى ظاهرة الحب الشاذ حالة اِجتماعية تعكس ما أصيب به المجتمع الأندلسي من اِستهتار و العبث بالأحكام والمبادئ الخلقية.

بالرغم ما كان من صور الضعف والمآسي إلا أنّ الأمراء كانوا لاهين غير عابئين بما يدور حولهم، واِستخفّ الملوك بالدين وتجردوا من الأخلاق والقيم الإسلامية وأدى الغنى الفاحش والرفاه الإقتصادي للأسرة الحاكمة إلى تبذير الأموال في الترف والمجون.

2-الفئة الخاصة

هي الطبقة التي كان حضورها يفرض نفسه على مستوى الحاكم وداخل الهيكل السياسي والإقتصادي، وكانت مصالحها تخدم مصالح الخاصة فوجود هذه الطبقة كان بمثابة تغليف البنية الفوقية للجهاز السياسي والإداري[3] فظلت شديدة الإرتباط بالطبقة الحاكمة من أجل الحفاظ على مصالحها، إذ وقفوا بجانب طبقة الحكم حرصاً منهم على جمع المادة والعمل على اِزديادها، وكانوا يطالبون السلطة بالاستمرار بحماية تجارتهم[4].

---

[1]-الزجالي،المصدر السابق،س2،ص15.

[2]-ابن حزم محمد بن علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تح: محمد يوسف الشيخ وغريد يوسف الشيخ، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت،2004م، ص149.

[3]-أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص188.

[4]-نفسه، ص83.

يذكر الأمير عبد الله[1] آخِر ملوك بني زيري أنّ التجار كانوا "مع من سبق، لا طاقة لهم بالحرب، و لا هُم أهله"[2]، إذن كانت علاقتهم بالطبقة الحاكمة علاقة مادية تتراوح وفق تنفيذ أغراضهم من قبل السلطة.

3-النخب الفكرية

أ-الفقهاء والعلماء

شكلت طبقة الفقهاء شريحة إجتماعية ذات سند ودعم إجتماعي،وكان لسمو مكانتهم إنعكاس مؤكد على وضعهم الإجتماعي فأثّروا في مختلف طبقات المجتمع الأندلسي[3]، وحققوا مكانة إجتماعية رفيعة حتى أنّ بعضهم كان يدخل المدن دخولاً رسمياً يشبه دخول الأمراء[4]، فإشتركت مصالحهم مع مصالح الثائرين في غير مكان وكان منهم أصحاب الأمر والنهي إلى جانب الحكام أنفسهم،فكانت هناك سلبية في سلوك الفقهاء[5]، حيث لا جدل في أنّ النزاعات التي كانت بين أمراء الطوائف وما تلاها من مواقف متخاذلة كان لها وقع سيء في نفسية بعض الفقهاء[6]، فكانوا في هذا العصر الذي ساد فيه الإنحلال والفوضى الأخلاقية والإجتماعية أكبر عضد لأمراء الطوائف في تبرير طغيانهم وظلمهم وتزكية تصرفاتهم، وإبتزازهم لأموال

---

[1]-الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري الصنهاجي، هو الملك الثالث والأخير لإمارة غرناطة التي أسسها فرع منحدر من أسرة بني زيري البربرية الصنهاجية، و ذلك بعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة، وقد خلع هذا الأمير عن عرشه على يد المرابطين سنة473هـ/1080م...للمزيد أنظر(عبد الله بن بلقين، مذكرات الأمير عبد الله المسماة كتاب التبيان، ح:ليفي بروفنسال،[د.ط]،دار المعارف المصرية، مصر،1955م،ص7).

[2]-نفسه، ص150.

[3]-زناتي محمود أنور، دور الفقهاء في الحياة الإجتماعية خلال عصر المرابطين،ع25، مجلة كان التاريخية الكويت،2014م، ص16.

[4]-ابن خاقان أبو نصر، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: محمد علي شوابكة ط1،مؤسسة الرسالة، بيروت،1983م، ص299.

[5]-إحسان عباس،المرجع السابق،ص30.

[6]-بوتشيش القادري إبراهيم، اضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الإقتصادي والإجتماعي، دار الطليعة مارس،2002م.

الرعية، إذ كانوا يأكلون على كل مائدة، ويتقلبون في خدمات كل قصرٍ ليحرزوا النفوذ والمال، ويضعون خدماتهم الدينية والفقهية لتأييد الظلم والجُور، وخديعة النّاس بإسم الشرع[1]، فيقدمون لكل حادث فتوى، ولكل جريمة مبررًا وفي خدمة الأقوى دائماً[2] وقد إنفسح لهم بالأخص في ظل دول الطوائف مجال العمل والإستغلال والدّس واحتضنهم الأمراء الطغاة وأغدقوا عليهم العطاء[3]، وهذا ما جعل معارضة العلماء لأمراء الطوائف ونظامهم المُهترئ العاجز معارضةً خجولة إكتفت بالتلميح واللف والدوران أحياناً، وبالصمت أحياناً أخرى وذلك بسبب إنقسامهم على أنفسهم[4] إذن كان كان هناك تآلف وتضامن بين الأمراء والفقهاء في تأييد الظلم والفساد والخروج عن أحكام الشريعة[5]، على حد تعبير ابن حيان(ت469هـ/1076م)"لم تزل آفة النّاس من من خلقوا في صنفين كالملح:فيهم الأمراء والفقهاء قل ما تتنافر أشكالهم، بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يفسدون..."[6]، وهذا ما أدى إلى إنحطاط مكانة الفقهاء، ولعل قول الشاعر ابن عبد الكريم القيسي تصوير حي لذلك،حيث قال:

الكلب صار ببسطة أغلى وأشرف من فقيه

أعن فقيه يعتلي لمحله أو يرتقيه[7]

الملاحظ عموماً أنّ علماء العصر تخلو عن القيام بواجبهم وتشاغل الكثير منهم بشؤونهم الخاصة، إذ تواطئ العلماء مع الأمراء، والسكوت عن سوء أعمالهم.

---

[1]–عنان عبد الله، المرجع السابق، ع2، ص421.

[2]–مكي أحمد الطاهر، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط3، دار المعارف، القاهرة،1987م ص51.

[3]–عنان عبد الله، المرجع السابق، ع2، ص421.

[4]بوتشيش القادري، المرجع السابق.

[5]–عنان عبد الله، المرجع السابق،ع2، ص421.

[6]–ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م1، ص181.

[7]–عويس عبد الحليم، الأزمة الحضارية الراهنة ودرس الأندلس، ط1، دار النشر للجامعات المصرية القاهرة،1996م، ص28.

ب-الشعراء

كان القرن 5هـ/11م من تاريخ الأندلس عصرًا عظيماً للشعر والشعراء وتنافس الملوك في اِجتذاب الشعراء إلى نواحيهم[1]، وتبارى الشعراء في نُظم القصائد وكان لكل ملكٍ من ملوك الطوائف شعراؤه،فبرز من أهم الشعراء ابن عمار ابن اللبانة، ابن زيدون[2]...الخ، فقام الأمراء بإغداق الجوائز على الشعراء أبواق الدعاية[3]، إذ اِنتجع الشعراء قصور الأمراء يحضرون مجالسهم وتدرجُ أسمائهم في سجلات الدواوين وتُقِر لهم الأرزاق وتُخلع عليهم وظائف التدريس "ولقد كان الواحد منهم يرتجِلُ المقطوعة القصيرة فيبلغ بها الوزارة"[4]، فأصبح الشعراء يتغنون بمن بمن يدفع أكثر ولمن يُقدم رفاهية أعظم،وتحول الفن الجميل والنبيل على أيديهم إلى سلعة تباع وتشترى،وغرِقوا في الأنانية فأخذوا يدورون حول أنفسهم غزلاً وخمرًا ومديحًا[5].

من شعراء القرن5هـ/11م ابن البنّي(507هـ/1113م)، يتفق معظم من كتب عنه على تهتكه وتحلل أخلاقه وتنصب اِتهاماته بمجرى الدين، وهذه التهمة الأبرز التي يأخذها عليه المؤرخون، شهد النّاس عليه بالزندقة والإلحاد، وإنكار حشد الأجساد وميله عن الكتاب والسنة، كما وصف أنّه أليف غلمان، متغزلٌ بهم، هائم بحبهم وكانت علاقته بالفقهاء بصورة عامة سيئة للغاية، ودناءة أخلاقه جعلته غير محبوب

---

[1]-بالنثيا أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، تر:حسين مؤنس، [د.ط]، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، [د.ت] ص87.

[2]-سيد سالم عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، [د.ط]، مؤسسة شباب الجامعة القاهرة،1975م، ص295.

[3]-إحسان عباس، المرجع السابق، ص80.

[4]-اميليو غرسيه، المرجع السابق، ص46.

[5]-مكي أحمد الطاهر، المرجع السابق، ص51.

من قبل الحكام[1]، وقد تميّز هذا العصر أيضاً بشعر الغزل وتطور بشكل ملحوظ وربّما أنّ مظاهر الفساد والإنحلال الخلقي التي ميّزت العصر ساهمت في بروزه مما ألهم الشعراء،فبرز ابن زيدون(465هـ/1071م) ومتيمته ولادة بنت المستكفي (484هـ/1091م) يمثلان بشعريهما قمة الغزل الماجن[2]، وقد كان ابن زيدون يشرب الخمر في الوقت الذي يقول فيه في مديح ابن جهور[3]، ولم ينحصر الغزل في العنصر الأنثوي، بل تعداه إلى غزل الشذوذ وهو الغزل الغلماني، الذي قطع شوطاً كبيرًا بسبب الثراء الفاحش[4].

المبحث الثاني: طبقة العامة

عرف المجتمع الأندلسي عصر ملوك الطوائف إنتشارًا للعديد من مظاهر الإنغماس في ملذات الحياة وترفها، التي عجلت في إنهيار المجتمع الإسلامي بدءا بالطبقة الحاكمة من ملوك ووزراء إلى شعب مغلوب عليه، وكما يقال "النّاس على دين ملوكهم"، إذ أنّ الطبقات الشعبية معظمها وعلى إختلاف مراكزها الإجتماعية إنحدرت إلى نفس الهاوية. ولكن قبل التطرق إلى مظاهر الآفات الإجتماعية عند العامة، حُرّي بنا أن نكشف الأسباب التي ساهمت في الإنحلال الخلقي لدى هذه الفئة، فهي كما عرفنا سالفاً أنها الطبقة الأقل حظوظاً، تحملت عبء الخدمات لفائدة الطبقة المحظوظة في المجتمع، فكان ثقل النظام السياسي يتحمله كاهل العامة[5]، فعانت الفقر والحرمان، والدخل الهزيل الذي لم يمكنها من توفير أدنى لزوميات المعيشة، بالإضافة إلى الضرائب الباهظة التي كان لها المفعول في تردي

[1]–ذنون إحسان طه، ابن البنّي شاعر أندلسي من القرن الخامس الهجري، مجلة المورد، ع2، م21 بغداد،2004م، ص86.

[2]–المقري،المصدر السابق،ج4، ص283.

[3]–الدغلي محمد سعيد، الحياة الإجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي، ط1، دار أسامة،الإسكندرية، [د.ت]، ص22.

[4]–مدلج جودت، الحب في الأندلس، ط2، دار اللسان العربي، بيروت،[د.ت]، ص201.

[5]–أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص204.

أوضاعهم مما اِضطر البعض منهم إلى الفرار هروباً من الظلم وهو ما عبّر عنه إحسان عباس بالجلاء[1]، ناهيك إلى ما كانت تتعرض له العامة من أزمات ومحن، فالأرستقراطية تنعم بحياة الرفاهية والعامة تسلب حقوقهم وتتعرض للاِضطهاد، وهذا ما جاء في أمثالهم العامية:

إذا سمعت الأمير يغني أدرك أنّ همومي تبكي[2]

فعانت هذه الفئة من المجاعة واِنتشار الأوبئة، وذلك ما أتى به ابن قزمان بأزجاله مصورًا هذا الوضع المتأزم فيشكوا غلاء الأسعار وخلو بيته من الطعام قائلاً:

يا فقي القَمح غالي والدْقِيقْ أغلى وأغلى

والبطنُ كما في علمك بلا خُبزٍ لَسْ يخلى[3]

من هذا الواقع الأليم الذي عانت منه هذه الفئة، تطلعت أنفسهم إلى الاِنغماس في ملذات الدنيا هروباً من هذا الواقع، فاِنتشرت فيهم عادات لا أخلاقية.

1-اللهو والمجون

انتشرت الإباحية وتعاطي المسكرات بين أفراد المجتمع،فكانت تعقد لها المجالس في البيوت والحدائق وفي الحانات،و حتى على ضفاف الأنهار كالوادي الكبير إبرّة فاِشتهرت اِشبيلية وأهلها بحبهم للهو" فضرب بهم المثل في الخلاعة واِنتهاز فرصة الزمن ساعة بعد ساعة"[4]، فإذا سلمنا أنّ النّاس على دين ملوكهم، فقد أصبح شرب الخمر عادة مألوفة في عهد الطوائف، فقد كانوا يتعاطون الخمر مجاهرة في مجالسهم داعين إليها.

[1]-إحسان عباس، المرجع السابق، ص27.

[2]-الزجالي، المصدر السابق ، س2، ص11.

[3]-ابن قزمان محمد بن عيسى القرطبي، ديوان ابن قزمان، تح :ف. كورنيطي،[د.ط]، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد،1950م، ص280.

[4]-المقري، المصدر السابق، ج2، ص151.

2-تفشي الفواحش

أ-ظاهرة الغلمان

كان لتوفر الغلمان في الأندلس الأثر في اِنتشار الحب الشاذ،وساعدت البيئة الأندلسية على بروزها،وذلك بما أُشتهر به الأندلسي من الوسامة والنظافة، فوجد منهم السُقاة في الحانات، وخدم للأغنياء، ومنهم من كان يقوم بخدمة الشعراء في مجالسهم وبيوتهم، ينادمونهم ويقظون حوائجهم[1]، فأصبح حب الغلمان والتعلق بهم في المجتمع الأندلسي بضاعة والتغزل بالمذكر عادة رائجة، فأقبل الأندلسيون عليها معبرين عن ولعهم، وقد أشار ابن بسام أنّ التغزل بالغلمان اِستشرى كثيرًا في الأندلس[2].

3-السرقة والتسول

وجدت في المجتمع الأندلسي ظاهرة السرقة التي كانت من نتائج الوضع الإجتماعي، ومن الثابت أيضًا أنّ اِندلاع الفتن والثورات الداخلية واِضطراب حالة الأمن في المجتمع خصوصًا في أوقات ضعف السلطة يؤدي غالبًا إلى اِنتشار حوادث السرقة أو النهب والقتل[3]، فكانت السرقة منتشرة في المدينة والبادية على حدٍ سواء[4]، فالاِستغلال والفاقة التي تميزت بها العامة في اِشبيلية أدت إلى وقوع حوادث منعزلة في السوق أو حالات السرقة[5]، فكثيرًا ما كانت المنازل في المدن الأندلسية

---

[1]-جودت مدلج، المرجع السابق، ص201.

[2]-ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م1، ص274.

[3]-السيد أبو مصطفى كمال، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، المرجع السابق، ص37.

[4]-بلعراسي لخميسي، الحياة الإجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف(400هـ-479هـ) (1009-1086م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية باتنة،2006م، ص114.

[5]-ابن بسام، المصدر السابق، ق3، م1، ص418.

عرضةً لهجومات اللصوصية ليلاً[1]، وأهم ما يميّز السارق حنكته ودهائه المدهش في طرق السرقة، وربما أنّ زوجة السارق تساعد زوجها في هذه المهمة، وهذه حالة شاذة نجد فيها السارق متزوجًا[2]. كما كانت ظاهرة التسول في الوسط العامي منتشرة بكثرة في الطرقات،حيث يذكر المقري هذه الحالة قائلاً "وأما طريقة الفقراء...التي تكسل من الكِد وتحوجُ الوُجوه للطلب في الأسواق فمستقبحة عندهم إلى نهاية وإذا رؤوا شخصًا قادرًا على الخدمة يطلب سبُوه وأهانوه، فضلاً عن أنْ لا يتصدقوا عليه بالأندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عذر"[3].

4-الرشوة

أما في مجال المعاملات، فقد اِنتشر الرّبا، الرشوة، السمسرة، وأكل أموال اليتامى التجسس، الكذب وغش الأطعمة والأغذية، وغير ذلك من الرذائل والعيوب الإجتماعية فاِنتشرت بين النّاس اِنتشارًا واسعًا، فالرشوة غالبًا ما اِستشرى أمرها بالرغم من قيام نظام قضائي موحد، كانت المصالح السياسية تعترض سبيله[4]، فبلغ الفساد درجة خطيرة وأصبح مستشريًا في المجتمع الأندلسي واِختلفت أشكاله، فكانت مظاهر الرشوة في قرطبة واِشبيلية، فحين نجد أنّ اِشبيلية أقلُ درجة مما ساد في قرطبة[5] فيذكر ابن حيان أنّ أحد العوام اِعتنى بطريقة غير عادية خلال الفتن التي عرفتها قرطبة سالفًا أساليب الغش والمضاربة، والجور بالرغم من جهالته[6]، وذكر أيضًا

[1]-المقري، المصدر السابق، ج1، ص203.
[2]-المقري، المصدر السابق، ج4، ص128.
[3]-نفسه، ج1، ص220.
[4]-أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص225.
[5]-ابن بسام، المصدر السابق،ق1، م1، ص99.
[6]-أمحمد بن عبود، المرجع السابق، ص593.

شخصًا آخر لم يحدد اِسمه سعى إلى تراكم الأرباح بواسطة رفع الأسعار في السوق بطريقة اِصطناعية[1].

كما حفلت الشوارع والأسواق ببعض المخنثين الذين يقلدون النساء في ملابسهن ويطلق عليهم "القطماء" ويورد ابن سعيد قصة مفادها أنّ أحد القطماء يترك بابه مفتوحًا حتى إذا دخل لِصٌ مسكه وطلب منه ممارسة الفاحشة عليه مقابل إخلاء سبيله[2]، وصار القطيم مضرب الأمثال الشعبية عندهم، كقول العامة "القِطمُ فارضُ الصقالبة"[3]، وقالوا أيضًا " أمشي من قطيم"[4].

5-الزندقة

ومن الظواهر الاِجتماعية الأخرى التي برزت من خلال نوازل المعيار للونشريسي(ت914هـ/1508م)، تفشي الإلحاد والزندقة في الأندلس عصر ملوك الطوائف، حيث ظهرت جماعات من الفقراء ينتحلون ما يسمى بالطريقة الفقرية أو طريقة الفقراء التي أُشتُهر أهلها بالإباحية وتحليل ماحرّم الله، ومنهم من أُتُهموا بالزندقة لإظهارهم الإسلام واِستتارهم بالكفر، وكان هؤلاء يجتمعون في بعض الزوايا ليلة الجمعة والاِثنين فيمدحون ويرقصون،وغالبًا ما كانوا يتوجهون إلى القرى التي غلب عليها الفقر والجهل،فيُزينون لهم طريقهم التي تشمل على اللهو واللعب وأكل أموال الناس بالباطل[5]، ومن أحد المتهمين بالإلحاد والاِستخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم في طليطلة سنة457هـ ويدعى عبد الله بن أحمد بن حاتم الأزدي الطليطلي، فقد أخذ عليه بشهادة ستين شاهدًا أنّه كان يتفوه بعبارات التهم والسخرية

[1]-ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص591.

[2]-ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص177.

[3]-الزجالي، المصدر السابق، س2، ص117.

[4]-نفسه، ص119.

[5]-الونشريسي أبي العباس بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل اِفريقية والأندلس والمغرب خرجه:جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج2،[د.ط]، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981م، ص328.

في حق الرسول وآل بيته الكرام[1]، وكذلك الزنديق والملحد أبي الخير الذي كان يسُب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ويطعن في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان راميًا عائشة بالكذب، ومادحًا الخمر شاربًا لها زانيًا لِواطًا[2].

6- البدع

يقدم لنا أبو بكر الطرطوشي(ت520هـ/1126م) بدعًا كثيرة أدت إلى فساد المجتمع، كالإنذار للعرس والجنازة للمباهاة والتنافر، وكثرة النّاس وكذلك الإنشاد ورفع الصوت عند حمل الجنازة،و منافستهم في الأضحية للإفتخار من أجل إقامة الدنيا وليس طلبًا للسنة[3].

إن مظاهر الفساد التي كانت منتشرةً في المجتمع الأندلسي بيّنت مدى تفشي التعفن الأخلاقي والإجتماعي، وذلك كله نتيجة النظام السياسي للطوائف والذي كان سببًا في تشجيع هذه الظواهر.

المبحث الثالث: المرأة الأندلسية عصر ملوك الطوائف

تعتبر المرأة أحد أفراد الأسرة، تكون إما أُمًا أو بنتًا أو زوجةً أو أختا، فتساهم في توجيه الأسرة وتنظيمها، رغم أنّها لا يرد ذكرها إلا مقترنًا بالرجل بوصفها قريبة أو خادمة[4]، حيث تزخر كتب الأزجال والأمثال وغيرها بمادة وفيرة عن المرأة فتعتبر المرأة مصدر شقاءٍ وهدمٍ في المجتمع، وأنّ لا خير ولا ثقة فيها ولو كانت أُمًا

---

[1]-ابن سهل أبو الأصبغ عيسى الأندلسي، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تح:عبد الوهاب خلاف،تق:محمد علي مكي ومصطفى إسماعيل،[د.ط]، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة،1981م، ص92.

[2]-نفسه، ص42.

[3]-الطرطوشي أبو بكر، الحوادث والبدع، تح:عبد الحميد تركي، [د.ط]، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990م ص301.

[4]-فيغيرا "أصلح المعالي عن المنزلة الإجتماعية لنساء الأندلس"،الحضارة العربية في الأندلس، تحرير:سلمى الخضراء الجيوسي، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، ص1002.

أو أُختًا وذلك ما جاء في أمثالهم " لَسْ في النساء خيرُ ولا فُمي "[1]، و آخر "لا تثِق ولو كانت أُختُك"[2].

اِنتشرت مظاهر سيئة ميّزت المجتمع الأندلسي في القرن5هـ/11م، فكان مناخًا ملائمًا لبروز ظاهرة الفساد، خاصة لدى المرأة حيث أشارت كتب الحسبة والفتاوى الأندلسية إلى بعض الرذائل الخلقية التي اِنتشرت في أغلب المدن الأندلسية، حيث أنّ بعض النسوة كنّ يحترفنّ البغاء، ويطلق عليهنّ الخراجيات أو نساء دور الخراج وكنّ ذوات سمعة سيئة يسْكُنّ عادة في الفنادق ويمارسنّ البغاء[3]، وكانت المرأة أحيانًا تخرج سافرةً مما يؤدي إلى حدوث المعاصي، سواء كانت متزوجة أو عزباء،حيث تنشأ علاقات غير شرعية،وهذا ابن رشد القرطبي(520هـ/1126م) يورد لنا في أحد فتاويه قضايا الزّنا وقتل المولود خوفًا من العار ونظرة المجتمع[4]،فقد كانت بعض النساء " يذهبنّ بمفردهنّ بداعي زيارة القبور التي تصبح بذلك أماكن مواعيد..."[5] كما شغلت بعض النساء منصب متقبل الفنادق وقد أنهى أهل الحسبة عنه،ومن ذلك ما قاله ابن عبدون(ق6هـ) المحتسب " لا يكون متقبل فنادق التجار والغرباء اِمرأة فذلك عين الزّنا"[6]، ناهيك عن نساء الحواضر فاِنحلالهنّ جعل ابن عبدون ينهي النساء عن التحلي بالزينة بل ونهى الراقصات من كشف رؤوسهنّ[7].

---

[1]–الزجالي،المصدر السابق، س2، ص280.

[2]–نفسه، ص465.

[3]–ابن عبدون الجرسيفي، رسالة في القضاء والحسبة، نشر:ليفي بروفنسال،[د.ط]،الجريدة الآسيوية، أفريل جوان،1934م،ص39.

[4]–ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي، فتاوى ابن رشد، تح:المختار بن الطاهر التليلي، س3، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1987م، ص1396.

[5]–بيارغيشار، التاريخ الإجتماعي لاسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين،الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير:سلمى الخضراء الجيوسي، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، ص985.

[6]–ابن عبدون، المصدر السابق، ص37.

[7]–ابن عبدون ، المصدر السابق، ص45.

وأشار الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك غرناطة في مذكراته إلى طغيان النساء وطمعهنّ في ولاية من ربينّه من أبناء السلطان[1]، إذن كان التدخل النسوي حتى في مؤسسة الحكم، وشهد البلاط الغرناطي منافسة نسوية كبيرة من أجل الحصول على هذه الحظوة، مما يؤهلنّ لتسيير الحكم مع ما يتماشى ومصالحهنّ[2] إلى جانب ذلك كانت المرأة تخرج في مسرات الأسرة وأحزانها، ونستقي ذلك مما نهى عنه ابن عبدون من إختلاط النساء بالرجال ليس لحرمانها من الخروج وإنما الحرص على فصلها عن الرجل حفاظًا عليها[3]، ولحرص المجتمع وحفاظه على المرأة نهى المحتسبة عن جلوس النساء على ضفة الوادي في فصل الصيف إذ ظهر الرجال فيه[4]، ونهى الفقهاء عن تجمع النساء في المقابر ومواضع التنزه وبعض الأسواق ومخالطة الفساق[5]. كما لم تسلم المرأة من المعاكسة خارج بيتها من طرف الرجال فكانت المعاكسة في الشوارع من طرف الفئات الشبانية الطائشة، ونعطي مثالا عن حيّ العطارين في قرطبة والذي كان مجمعًا للنساء يقظين حاجاتهنّ من عطور وزيوت وصابون، حيث نرى المعجبين بالنساء يتبعنهنّ بالسير خلفهنّ[6]، وقد كانت أيام الجمع والأعياد من أهم المناسبات والأوقات التي تستفحل الظاهرة، حيث ينهي المحتسب ألا يترك الشبان أيام العيد يجلسون في الطرقات لإعتراض النساء ومراودتهنّ خاصة أثناء زيارة القبور والإزدحام في الطرقات[7]، أما على مستوى الحياة العاطفية فقد برزت المرأة فمارست الحب والغزل والعشق بطريقة موغلة في الصراحة

---

[1]–بن بلقين عبد الله، المصدر السابق، ص50.

[2]–بلعراسي لخميسي، المرجع السابق، ص75.

[3]–ابن عبدون، المصدر السابق، ص45.

[4]–نفسه، ص236.

[5]–نفسه، ص236.

[6]–ابن حزم، المصدر السابق، ص23.

[7]–ابن عبدون، المصدر السابق، ص35.

إلى حد التعبير عن مشاعرها دون أي حائل[1]، إذ أنّ المرأة وصلت إلى حد البوح بمشاعرها خاصةً فيما تنظمه من شعر،وعلى سبيل المثال ولادة بنت المستكفي، وفي قول ابن بسام عليها يقول " وكانت من نساء أهل زمانها، واحدة أقرانها، حضور شاهد وحرارة أوابد وحسن منظر ومخبر...وحلاوة مورد و مصدر، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار مصر...ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها..."[2]، وهناك بيتين من الشعر تعبر فيهما ولادة عن حبّها تقول فيهما:

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيهًا

أمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيها[3].

[1]–المقري، المصدر السابق، ج4، ص298.

[2]–ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م1، ص379.

[3]–قجة محمد حسن، محطات أندلسية في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، ط1، دار السعودية، جدة،1985م ص113.

المبحث الرابع: أثر الآفات الاجتماعية على المنظومة القيمية.

منذ أن قامت دول ملوك الطوائف قامت معهم النزاعات والخلافات الداخلية, فشهدت مناحي الحياة المختلفة في ظل الأوضاع السياسية ترديا اِجتماعيا, فزاد تسلط وقهر ملوك الطوائف على شعوبهم حتى وصل الحال ببعضهم إلى أن يبطش ويقهر وينفي ويسجن بل ويقتل أيضا, وكأنهم لم يقرؤوا قوله تعالى[وَلاَ تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ][1] وقوله أيضا[فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ][2] وفي ظل هذه المؤثرات السياسية أخذت الأخلاق الإسلامية تتذبذب في الوقت الذي يتهاون الحكام ويقاتل بعضهم بعضًا طمعًا وحسدًا، وفي هذا الوقت كان المستوى الأخلاقي يشهد اِنحدارا لا مثيل له، فالتمزق والتفرق يمزق عقد الأخلاق، فتنشأ الرذيلة، وتظهر الخيانة وتضيع الأمانة ويسود الظلم، ويتراجع العدل ويفشوا الكذب ويقل الصدق.

فمن خلال العرض الوجيز لمظاهر الآفات الاجتماعية في الأندلس عصر ملوك الطوائف يتبين لنا الانحلال الخلقي الذي ساد المجتمع الأندلسي حينما انغمس في مباهج المدنية والترف، وبانهيار الكيان الروحي، انهارت معه جميع المقومات، وقد حق من قال: ما أصاب الأمة من ضياع فهو بقدر ما ضيعت من الخط السليم، حيث قد كان شرب الخمر والِاستغراق في الملذات والإكثار من الجواري والنساء قاسما مشتركا بين كثير من الملوك الذين غرقوا في الفواحش والرذائل، وبالتالي لم يكن التهتك إلا نتيجة لضعف الوازع الديني وضياع القيم الأخلاقية واِستئثار اللذة والمنفعة في كل شيء.

وقد كان لظاهرة التمايز الطبقي أثر على قيم المجتمع، حيث كانت الطبقة الحاكمة تتميز بوضع اِجتماعي مميز يجمع بين السلطة والنفوذ والثراء، هذا ما جعلها عرضة لنقمة الفئات الأخرى،في حين الطبقة الوسطى من التجار وأصحاب المهن الحرة والوظائف الحكومية حافظت على مكانتها، وعملت طبقت العامة التي أطلق عليها الفئة المهمشة على

[1]- سورة الأنفال، الآية 46.
[2] سورة المؤمنون، الآية 53.

الانتقام لنفسها سيما من ذوي الجاه والمال والنفوذ الذين يرون فيهم أنهم سببا في تعاستهم وشقائهم . فساهم الترف الذي تمتعت به الطبقة الحاكمة في إتباع الهوى، فاتبعوا أهوائهم ولم يأخذوا الأدلة الشرعية، لقوله تعالى [فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمَ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ إِتَّبَعَ هَوِيهُ بِغَيْرِ هُدىً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ][1] واخترعوا فيها طرائق ونغمات تكسب السامع سكرات، وتحركه إلى الشهوات، فسارعوا إلى شرب الخمر والإكثار من القينات، وذلك ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم عن عمر أن بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم << يكون في أمتي قذف ومسخ وخسف >> قيل يا رسول الله ؛ ومتى ذلك قال:<< إذا ظهرت المعازف وكثرت القينات وشربت الخمور>>[2] قال تعالى [وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيراً][3] وما رواه فرج بن فضالة عن علي – رضي الله عنه – قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا عملت أمتي خمس عشرة خطة حل بها البلاء ، فذكر فيهن << إذا اتخذوا القينات والمعازف >>[4] فقد كان التحرر الخلقي معروفا وبالأخص لدى الطبقة الحاكمة في المجتمع وتسبب الازدهار المادي لهذه الطبقة في زيادة أطماعهم، فلجأوا إلى طريق غير مشروعة ساهمت في التأثير على نظم وقيم المجتمع الأندلسي الإسلامي، أما بالنسبة للطبقة العامة فقد اتجهت نحو الطريق الذي سارت فيه الطبقة الحاكمة، فاتبعوا أهوائهم كذلك، ولجأوا إلى التقليد الأعمى حيث تنشأ أجيال تقلد ما عليه الآباء و الأجداد ودخل الفساد بالتبديل والتأويل بالإبداعات التي يبدعها الناس عبر الزمان والمكان خارج ثوابت الدين وعقائده ومنظومة قيمه، والتي كان لها أثر في تنكر بعض القلوب لهداية الله.

---

[1] -سورة القصص، الآية 50.

[2] - أحمد بن عمر بن إبراهيم أبي العباسي الأنصاري القرطبي، كشف القناع عن الوجد والسماع، تحقيق: قسم التحقيق ط1، دار الصحابة للتراث، طنطا، 1992، ص 72.

[3] -سورة الإسراء،الآية16.

[4] - نفسه، ص 82.

الخاتمة

الخاتمة:

يستفاد مما عرضناه من فصول موضوع وتلخيصًا لكل فصل وما توصلت إليه من نتائج:

أنّ دراسة الآفات الإجتماعية لا يأتي إلا بدراسة الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية للمجتمع الأندلسي وعناصره في القرن 5هـ/11م، فمن خلال ما إستعرضناه من تاريخ الأندلس في هذه الفترة لاحظنا أنّ المجتمع الأندلسي ينقصه الإستقرار والهدوء في جميع مناحيه.

كان للتقسيم السياسي في الأندلس إلى دول طائفية نتائج خطيرة على المستوى الإقتصادي والإجتماعي، وعدم التشابه في الأوضاع التي طبعت الحياة الإجتماعية من دولة طائفية إلى أخرى، حيث تميزت كل منها بكيان خاص قائم على مبدأ الزعامة لأسرةٍ من الأسر والإعتماد على قوة عسكرية لتنفيذ أهدافها، فحرص حكام الطوائف على الإرتسام بسمات الملك والتلقب بشتى الألقاب الملوكية والسلطانية.

كان للوضع السياسي المضطرب أثره على التركيبة الإجتماعية،حيث ساهم في بروز نمطين متباينين من حيث المستوى الإقتصادي والإجتماعي فهناك فئة مترفة تمتلك الأموال والقصور والثروات...مثّلها (الحكام،القضاة،الوزراء...الخ)، وفئة محرومة سُخرت ثرواتها لخدمة مصالح الفئة الأولى مثّلها (التجار الصغار، الزّراع الفقراء...الخ)، ولكن بالرغم من إختلاف سكان الأندلس عصر ملوك الطوائف في مستوى حياتهم، وفي تركيبتهم ونظمهم السياسية... فإنهم شكلوا مجتمعًا إمتاز بإلتحام ثقافي ولغوي وتاريخي.

جرّ الوضع الإقتصادي والإجتماعي المتدهور إلى بروز ظواهر إجتماعية خطيرة تركت أثرها على الجانب الأخلاقي، سواء في حالة الفقر أو في حالة الغنى، فالفقر

الخاتمة

المدقع يدفع إلى السرقة والقتل، والغنى الفاحش يؤدي إلى تبذير الأموال في الترف والمجون.

ساهمت المظاهر السلبية التي ميّزت الأوضاع الإجتماعية من غناء ورقص موسيقى، خمر، بذخ وتغزل بالغلمان، تاركةً أثرها على الأخلاق التي شهدت تراجعًا ناتجًا عن السلوك المشين، الذي كان يمارسه أصحاب الشهوات والمفاسد،أما الفتن والاضطرابات التي تعرض لها سكان الأندلس من رعية وعبيد إبان عصر الطوائف أرهقت أرواح الكثير منهم، فسلبت أموالهم وأدت إلى وقوع المجاعات والأوبئة بينهم،والبعض الآخر تطلعت أنفسهم إلى الهروب من الواقع الأليم إلى الإنغماس في أجواء مليئة بالملذات، وإهمالهم وعدم مبالاتهم بالقيم الدينية، وعدم إحتفاظهم على نظم الإسلام عقيدة وسلوكًا، فعمت الفوضى الأخلاقية وانتشر التفسخ والإنحلال الأخلاقي.

ومن جملة الاقتراحات التي نقترحها لتجنب ما وقع فيه المسلمون في الأندلس منها: تجنب الطبقية في المجتمع والتمسك بالقيم والمبادئ الدينية والاحتفاظ بنظم الإسلام وعقيدته.

وعلى الرغم مما وقفنا عليه من نتائج حول الآفات الإجتماعية لبلاد الأندلس الإسلامي في ظل عهد الطوائف، إلا أنّ الدراسة تبقى محاولة متواضعة، فأعمال الإنسان مهما كانت لا تخلو من نقص، ويعلم الله مدى الصعوبات التي واجهتنا من أجل أن نخرج بها إلى النور، ولكن بحول الله ومنه تحملنا مشقة كل ذلك بعزمٍ وثبات راجين منه تعالى أجر الإجتهاد.

تم بحمد الله

ملحق01: جدول تاريخي مفصل لدول الطـــوائف [1]

دولة بني جهور في قرطبة

أبو الحزم جهور محمد بن جهور: 422-435هـ / 1031- 1044م.

أبو الوليد محمد جهور: 435-457هـ / 1044 -1064م.

عبد الملك بن محمد بن جهور:457-463هـ / 1064- 1070م.

المعتمد بن عباد يستولي على قرطبة سنة 463هـ/1071م.

دولة بني عباد في اشبيلية

القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد: 414-433هـ / 1023- 1042م.

عباد بن محمد المعتضد: 433-461هـ / 1042- 1069م.

محمد بن عباد المعتمد: 461-484هـ / 1069-1091م.

اشبيلية تسقط في أيدي المرابطين

دولة بني الأفطس في بطليوس

عبد الله بن محمد بن مسلمة المنصور: 413-437هـ / 1022-1045م.

محمد بن عبد الله المظفر: 437-461هـ / 1045- 1068م.

يحي بن محمد المنصور: 461-464هـ / 1068- 1072م.

عمر بن محمد المتوكل: 464- 488هـ / 1072-1094م.

بطليوس تسقط في أيدي المرابطين

دولة بني يحي في لبلة

أبو العباس أحمد بن يحي: 414-434هـ / 1023-1042م.

محمد بن يحي عز الدولة: 434-443هـ / 1042-1051م.

فتح بن خلف ناصر الدولة: 443- 445هـ / 1051- 1053م.

لبلة تسقط في يد المعتضد بن عباد

[1] – نقلا عن عنان عبد الله ، دولة الإسلام –العصر الثاني– بتصرف الطالب.

دولة بني مُزين في باجة وشلب

الحاجب عيسى محمد : ...-432هـ / ....1041م.

محمد بن عيسى عميد الدولة: 432-440هـ / 1041- 1048م.

عيسى بن مُزين المظفر: 440-445هـ / 1048- 1053م.

محمد بن عيسى الناصر: 445-450هـ / 1053-1058م.

عيسى بن محمد المظفر: 450-455هـ / 1058-1063م.

شلب تسقط في يد المعتضد بن عباد

دولة بني البكري في ولبة وجزيرة شلطيش

عبد العزيز البكري عز الدولة: 403-443هـ / 1012-1051م.

ولبة وشلطيش تسقطان في يد المعتضد

دولة بني هارون في شنتمرية الغرب

سعيد بن هارون: 417-433هـ / 1026- 1041م.

محمد بن سعيد المعتصم: 433-443هـ / 1041-1051م.

شنتمرية الغرب تسقط في يد المعتضد

دولة بني ذي النون في طليطلة

اسماعيل بن ذي النون الظافر: 427-435هـ / 1036-1043م.

يحي بن اسماعيل المأمون: 435-467هـ / 1043-1075م.

يحي بن اسماعيل بن يحي القادر: 467-478هـ / 1075- 1085م.

طليطلة تسقط في يد ألفونس السادس

دولة بني مناد في غرناطة

زاوي بن زيري: 403-410هـ / 1013- 1019م.

حبوس بن ماكسن: 411-428هـ / 1020-1037م.

باديس بن حبوس المظفر: 428-465هـ / 1037-1073م.

عبد الله بن بلكين : 465-483هـ / 1073-1090م.

المرابطون يستولون على غرناطة

دولة بني برزال في قرمونة

محمد بن عبد الله بن برزال: 404-434هـ / 1013-1042م.

عزيز بن محمد المستظهر: 434-459هـ / 1042-1067م.

قرمونة تسقط في يد ابن عباد

دولة بني دمّر في مورور

نوح بن أبي تزيري الدمري: 403-433هـ / 1013-1041م.

محمد بن نوح عز الدولة : 433-445هـ / 1041-1053م.

مناد بن محمد عماد الدولة : 445- 458هـ / 1053- 1066م.

مورور تسقط في يد ابن عباد

دولة بني خزرون في أركش

محمد بن خزرون عماد الدولة: 402-420هـ / 1011-1029م.

عبدون بن محمد بن خزرون: 420- 445هـ / 1029-1053م.

محمد بن محمد بن خزرون القائم: 445-461هـ / 1053-1068م.

أركش تسقط في يد ابن عباد

دولة بني يفرن في رندة

هلال بن أبي قرة اليفرني: 406-445هـ / 1015-1053م.

باديس بن هلال: 445-449هـ / 1053-1057م.

أبو نصر فتوح بن هلال: 449-457هـ / 1057-1065م.

رندة تسقط في يد ابن عباد

مملكة ألمـــرية

1- خيران العامري: 405-419هـ / 1014-1028م.

زهير العامري: 419-429هـ / 1028-1038م.

عبد العزيز المنصور: 429-433هـ / 1038-1041م.

2- معن بن صمادح: 433-443هـ / 1041-1051م.

محمد بن معن المعتصم: 443-484هـ / 1051-1091م.

أحمد بن محمد معز الدولة: 484 هـ / 1091م

المرابطون يستولون على ألمرية

مملكة مرسيـــة

1- خيران العامري: 403-419هـ / 1012-1028م.

زهير العامري : 419-429هـ / 1028-1038م.

أبو بكر بن طاهر: 429-455هـ / 1038-1063م.

أبو عبد الرحمان بن طاهر: 455-471هـ / 1063-1078م.

(حكم بنو طاهر باسم عبد العزيز المنصور صاحب بلنسية وولده عبد الملك)

المعتمد بن عباد يستولي على مرسية

2- ابن عمار : 471-473هـ / 1078-1081م.

ابن رشيق: 473-484هـ / 1081 -1091م.

المرابطون يستولون على مرسية

مملكة دانية والجزائر

1- مجاهد العامري الموفق: 400-436هـ / 1009-1044م.

علي بن مجاهد إقبال الدولة: 436-468هـ / 1044-1076م.

2- المقتدر بن هود صاحب سرقسطة: 468-474هـ / 1076-1081م.

المنذر بن هود: 474-483هـ / 1081-1091م.

المرابطون يستولون على دانية

مملكة بلنســـية

الفتيان مظفر ومبارك: 400-408هـ / 1009-1017م.

لبيب العامري: 408-411هـ / 1017-1021م.

عبد العزيز المنصور: 411-452هـ / 1021-1061م.

عبد الملك بن عبد العزيز: 452-457هـ / 1061-1068م.

المأمون بن ذي النون يستولي على بلنسية

نائبه أبو بكر بن عبد العزيز: 457-478هـ / 1065-1085م.

عثمان بن أبي بكر: 478- ...هـ/ 1085-....م.

القادر بن ذي النون: 478-485هـ / 1085-1092م.

القاضي ابن حجّاف: 485-487هـ / 1092- 1094م.

السيد الكمبيادور والقشتاليون: 487-495هـ / 1093-1102م.

المرابطون يستولون على بلنسية

إمارة شنتمرية الشرق

هذيل بن عبد الملك بن رزين: 403-436هـ / 1012-1045م.

عبد الملك بن هذيل: 436-496هـ / 1046-1103م.

يحي حسام الدولة: 496-497هـ / 1103-1104م.

المرابطون يستولون على شنتمرية الشرق

إمارة ألبونت

عبد الله بن قاسم: 400-431هـ / 1009-1039م.

محمد بن عبد الله يمن الدولة: 431-434هـ / 1039-1042م.

أحمد بن محمد عز الدولة: 434-440هـ / 1042-1048م.

عبد الله بن محمد جناح الدولة: 440-495هـ / 1048-1102م.

المرابطون يستولون عى ألبونت

مملكة سرقسطة

1- المنذر بن يحي التجيبي : 408-414هـ / 1017-1023م.

يحي بن المنذر المظفر: 414-420هـ / 1023-1029م.

المنذر بن يحي معز الدولة: 420-430هـ / 1029-1039م.

2- سليمان بن هود المستعين: 431-438هـ / 1039-1046م.

أحمد بن سليمان المقتدر: 438-474هـ / 1046-1081م.

يوسف بن أحمد المؤتمن: 474-478هـ / 1081-1085م.

أحمد بن يوسف المستعين: 478-503هـ / 1085-1110م.

عبد الملك بن أحمد عماد الدولة: 503-...هـ/ 1110- ....م.

المرابطون يستولون على سرقسطة

ملحق 02: خريطة الأندلس خلال عصر الطوائف

حسين مؤنس،أطلس تاريخ الإسلام،ط1،الزهراء للإعلام الآلي،القاهرة،1987م،ص172.

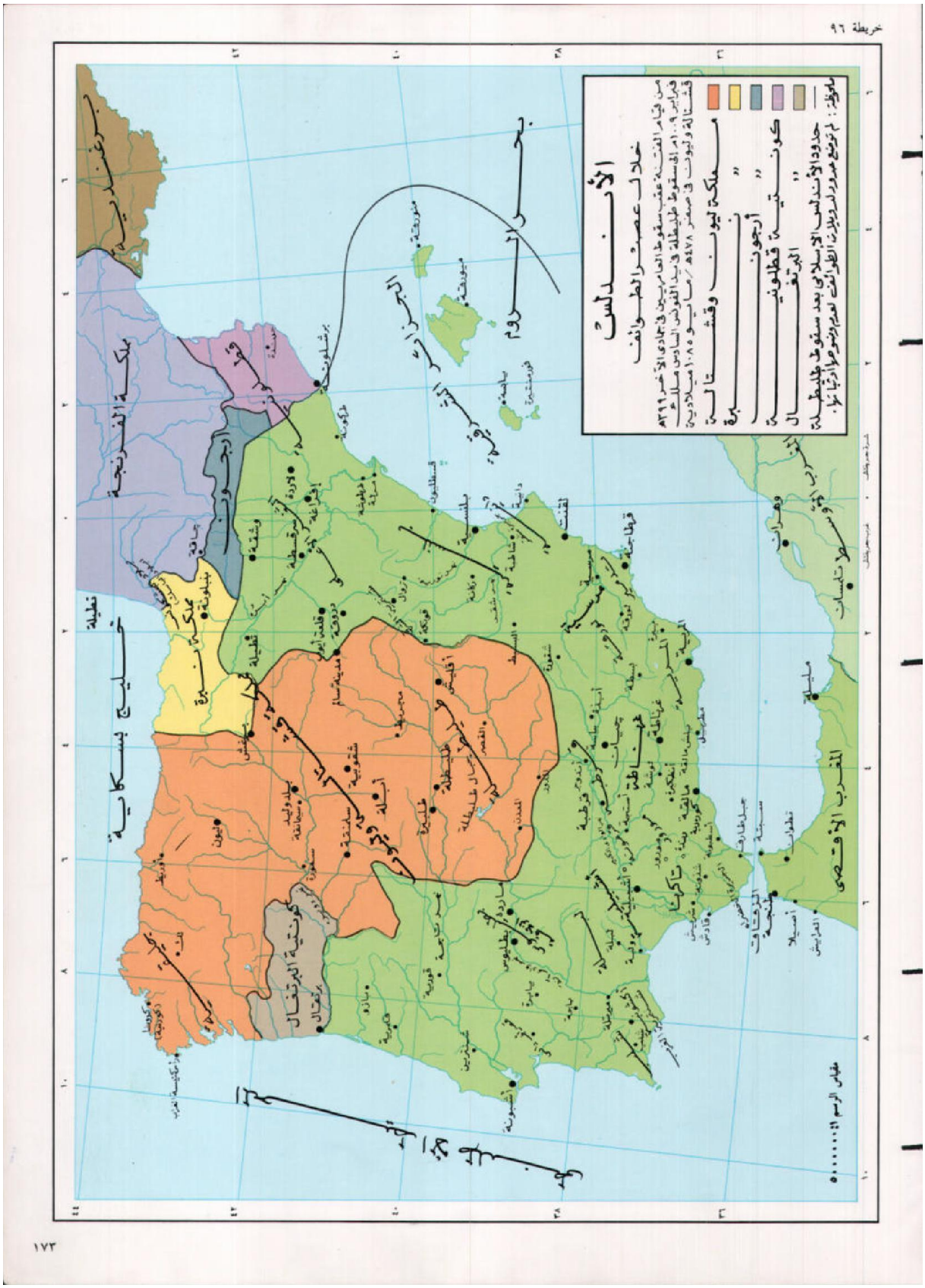

فهرس الأعلام

حرف الألف

أبا يحي بن معن بن صمادح التجيبي 19.

ابن بسام 15- 38.

أبو بكر الطرطوشي 35.

أبي بكر35.

أحمد بن حاتم الأزدي الطليطلي 34.

أبو الحزم جهور 8.

ابن حيان 28.

ابن الخطيب 9.

ابن خلدون 21- 23.

أبي الخير 35.

ابن رشيق 9.

الزجالي 24- 25- 26.

ابن زيدون 19- 29.

ابن عذارى 16.

ابن عمار 29.

أبو علي بن سكرة الصدفي 18.

ابن قزمان 31.

ابن اللبانة 29.

أبو الوليد بن رشد الجد 18.

أبي الوليد بن جهور24.

فهرس الأعلام

حرف العين

عائشة 35.

عبد الملك بن رزين 19- 25.

عبد الله بن بلقين 26- 37.

عثمان 35.

عمر 35.

علي ابن حزم 19.

حرف الميم

المأمون 21.

مبارك 22.

متوكل 20.

مجاهد الصقلي 19.

مظفر 22- 24.

المعتمد بن عباد 24.

المقتدر بن هود 20.

حرف الواو

ولادة 30- 38.

الونشريسي 34.

حرف الهاء

هذيل بن خلف بن رزين 24.

فهرس الأعلام

فهرس المدن

حرف الألف

اشبيلية 10- 13- 14- 15- 18- 19- 21- 25- 31- 32- 33.

الصقالبة 15- 16.

المرية 19- 22.

الأموية 8.

الأندلس 8- 9 -10 -11 - 13- 18- 19 -32- 33 - 34 -39 .

حرف الباء

بطليوس 20.

بلنسية 22.

حرف الدال

دانية 19.

حرف الطاء

طليطلة 10- 12- 21.

حرف السين

سرقسطة 10- 14- 20.

حرف الغين

غرناطة 10- 22 – 37.

حرف القاف

قرطبة 9- 10- 16- 19- 22- 23- 24- 33- 37.

حرف الميم

مالقة 10.

فهرس القبائل والشعوب

حرف الألف

البربر 10.

الشعوب السلافية 16.

حرف الباء

بنو جهور 9.

بنو حمود 10.

بني ذي النون 10- 12- 21.

بنو زيري 10- 14- 26.

بنو عباد اللخميين 10- 12- 18- 19- 21.

بنو هود 10.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

القرآن الكريم برواية ورش.

أحاديث نبوية.

أ-المصادر

1-ابن الآبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت658ه/1260م)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

2-الإدريسي(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي ت560ه/1066م) القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق: إسماعيل العربي،[د.ط]، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

3-ابن بسام(أبو الحسن الشنتريني ت 542ه/1148م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، [د.ط]، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، [د.ت].

4-ابن بشكوال(أبو القاسم خلف بن عبد الله ت578ه/1183م)، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس،[د.ط]، المكتبة المصرية، بيروت،2003م.

5-ابن حزم الأندلسي(محمد بن علي بن أحمد بن سعيد ت456ه/1046م)، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق: محمد يوسف الشيخ وغريد يوسف الشيخ، ط1 دار الكتاب اللبناني، بيروت،2004م.

6-الحميري(ابن عبد الله محمد بن عبد المنعم ت727ه/1326م)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتصحيح وتعليق: ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988م.

7-ابن خاقان(أبو نصر ت528ه/1134م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.

8-ابن الخطيب(لسان الدين السليماني ت 776ه/1374م)، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاِحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط1، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة،2004م.

9- // ،رقم الحلل في نظم الدول،[د.ط]، المطبعة العمومية، تونس،[د.ت].

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

5-أحمد العبادي مختار، في تاريخ المغرب والأندلس،[د.ط]، دار النهضة العربية بيروت،[د.ت].

6-أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي- تاريخ وحضارة-[د.ط]، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1989م.

7-أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس،ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت،1977م.

8-بن عبود أمحمد، التاريخ السياسي و الإجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف [د.ط]، المعهد الجامعي للبحث العلمي، تطوان، 1983م

9-جودت مدلج، الحب في الأندلس،ط2، دار اللسان العربي، بيروت،[د.ت].

10-حسن علي الشطشاط ،نهاية الوجود العربي في الأندلس،[د.ط]، دار قباء القاهرة، 2001م.

11-حسن محمد قجة، محطات أندلسية في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، ط1 دار السعودية، جدة، 1985م.

12-خالص صلاح، إشبيلية في القرن الخامس الهجري- دراسة أدبية تاريخية،[د.ط] دار الثقافة، بيروت،1956م.

13-زكرياء محمد عناني، تاريخ الأدب الأندلسي،[د.ط]، دار المعرفة الجامعية بيروت،1999م.

14-سالم يفوت، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس،ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1986م.

15-سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط1 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1991م.

-16سويدان طارق، الأندلس التاريخ المصور،ط1، شركة الإبداع الفكري، الكويت 2005م

10-ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد بن أبو زيد ت808ه/1405م)، المقدمة، ط3 دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967م.

11-ابن خلكان(شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمود ت681ه/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، [د.ط]، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1971م.

12-ابن رشد(أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي ت520ه/112م)، فتاوى ابن رشد تحقيق وجمع وتعليق: المختار بن الطاهر التليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1987م.

13-الزجالي(يحي عبد الله بن أحمد ت694ه/1294م)، أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتاب ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، تحقيق محمد بن شريفة، [د.ط]، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون والتعليم الأهلي المغرب، 1971م.

14-ابن سعيد المغربي(علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ت685ه/1286م) المُغرب في حُلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط2، دار المعارف مصر،1964م.

15-ابن سهل(أبو الأصبغ عيسى الأندلسي ت486ه/1093م)، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الله خلاف، تقديم: محمد علي مكي ومصطفى كمال إسماعيل،[د.ط] المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1981م.

16-الطرطوشي أبو بكر(ت520ه/1126م)، الحوادث والبدع، تحقيق وتقديم عبد الحميد تركي، [د.ط]، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

17-عبد الله بن بلقين(ت487ه/1094م)، مذكرات الأمير عبد الله المسماة التبيان تحقيق: ليفي بروفنسال،[د.ط]، دار المعارف المصرية، مصر،1955م.

18-ابن عبدون(الجرسيفي عاش في القرن السادس الهجري)ن رسالة في القضاء والحسبة، نشر وتعليق: ليفي بروفنسال،[د.ط]، الجريدة الآسيوية، أفريل-جوان 1934م.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

19-ابن عذارى المراكشي(أبو عبد الله محمد ت695ه/1295م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، ج س.كولان، ط2، دار الثقافة بيروت، 1980م.

20- أبي العباس(أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي ت578ه-651م) كشف القناع عن الوجد والسماع، تحقيق: قسم التحقيق، ط1، دار الصحابة للتراث طنطا، 1992م.

21-ابن قزمان(محمد بن عيسى القرطبي ت554ه/1149م)، ديوان ابن قزمان تحقيق: ف.كورنيطي،[د.ط]، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، 1950م.

22-ابن الكرديوس(أبو مروان عبد الملك بن قاسم ت575ه/1179م)، تاريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي،[د.ط]، معهد الدراسات الإسلامية، 1971م.

23-المراكشي(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ت)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة،[د.ط]، دار الثقافة بيروت، 1964م.

24-المقري(شهاب الدين أحمد بن محمد ت 1041ه/1631م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس،[د.ط]، دار صادر بيروت،1968م.

ب-**المراجع**

1-إبراهيم خليل السامرائي وآخران، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2000م.

2-إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين،[د.ط]،دار الطليعة، 2000م.

3-أحمد الطاهر مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1987م.

4-أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس،ط2،دار المعارف، تونس،[د.ط].

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ – ز

الفصل الأول : أوضاع الأندلس عصر ملوك الطوائف..... 9- 20

المبحث الأول: الأوضاع السياسية..... 9- 11

المبحث الثاني: الأوضاع الإِقتصادية..... 11-13

المبحث الثالث: الأوضاع الإِجتماعية..... 13-17

المبحث الرابع : الأوضاع الثقافية.....17-20

الفصل الثاني : مظاهر الآفات الإِجتماعية على مستوى طبقات المجتمع...21-40

المبحث الأول: مجتمع الخاصة.....21-30

أ – طبقة الحكام.....21-26

ب- الفئة الأرستقراطية.....26-27

ج- النخب الفكرية.....27-30

المبحث الثاني: طبقة العامة.....30-35

المبحث الثالث: المرأة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف.....35-38

المبحث الرابع: أثر الآفات الإِجتماعية على المنظومة القيمية...39-40

الخاتمة.....41-42

الملاحق.....43-48

فهرس الأعلام.....49-50

فهرس المدن.....51

فهرس القبائل والشعوب.....52

قائمة المصادر والمراجع.....53-59

فهرس الموضوعات.....60